

تفسير ابن عباس

ومروياته في التفسير

من كتب السنة

الجزء الثاني

إعداد

الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ
 مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
 سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعًا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخْرِفُونَ
 الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ
 تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
 وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ
 لِلشَّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ
 فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
 يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
 التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
 شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَائِقِي ثَمَنًا قَلِيلًا
 وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا

أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
 بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ
 كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾
 وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ عَٰثِرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ
 الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
 لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا
 أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
 لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾
 وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنِ
 بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۖ وَإِن
 كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
 لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة / ٤١ - ٥٠].

١- قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا [١٠٠]

عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله عز وجل أنزل ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ - فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ - فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ قال ابن عباس: أنزلها الله عز وجل في الطائفتين من اليهود كانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا - أو قال: اصطلحوا - على أن كل قتيل قتلته العزيزة فديته خمسون وسقاً^(١)، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم النبي ﷺ، ولم يظهر ولم يوطئها عليه وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة: أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم

(١) الوسق - بفتح الواو وسكون السين - ستون صاعاً (النهاية في غريب الحديث ٥ / ١٨٥)

مادة وسق).

نصف دية بعض؟ إنما أعطينا هذا ضيماً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، فاصطلحوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم، فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه وإن لم يعطكم حذرتهم فلم تحكموه، فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ، فلما جاءوا رسول الله أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ثم قال: فيها والله أنزلت، وإياهم عني الله عز وجل^(١).

(١) مسند أحمد ١ / ٢٤٦.

بيان الإسناد: -

١- إبراهيم بن أبي العباس السامرائي، ثقة تغير حفظه في آخر عمره فلم يحدث، وهو من الطبقة العاشرة^(١).

٢- عبد الرحمن بن أبي الزناد، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وقد تقدمت ترجمته.

٣- وأبوه هو عبد الله بن ذكوان، وهو ثقة فقيه تقدمت ترجمته.
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ثقة ثبت فقيه، تقدمت ترجمته.

وقد تبين لنا بهذا أن هذا الإسناد فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تغير لما قدم بغداد، ولم يذكر أن إبراهيم بن أبي العباس السامرائي ممن روى عنه قديماً في المدينة فيحتمل أن يكون روى عنه بعد تغيره.
أما اتصاله فهو ثابت لأن رواته قد سمع بعضهم من بعض^(٢)

(١) التقريب ١ / ٣٧ رقم ٢١٧، الكاشف ١ / ٨٣ رقم ١٤٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١ / ١٣١ رقم ٢٣٣، ٦ / ١٧٠ رقم ٣٥٣.

وقد وثق الحافظ الهيثمي رجاله ما عدا ابن أبي الزناد^(١).

لكن روي هذا الحديث من طرق أخرى ليس فيها عبد الرحمن بن أبي الزناد، فقد أخرجه أبو داود السجستاني قال: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عبد الله - يعني ابن موسى - عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وذكر نحوه^(٢). وفي إسناده سماك بن حرب تغير بأخرة وفي روايته عن عكرمة اضطراب^(٣).

(١) مجمع الزوائد ٧ / ١٧ سورة النساء.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب النفس بالنفس، حديث رقم ٤٤٩٤، وكتاب الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة حديث رقم ٣٥١١.

(٣) بيان هذا الإسناد:

١ - محمد بن العلاء هو أبو كريب الهمداني - وهو ثقة حافظ، تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

٢ - والقاسم بن زكريا بن دينار القرشي الطحان، ثقة، من الطبقة الحادية عشرة، التقريب ١ / ١١٦ رقم ١٧، الخلاصة ٣١٢.

٣ - وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار - بإذام العباسي الكوفي أبو محمد، وهو ثقة كان يتشيع قال أبو حاتم: كان أثبت في إسرائيل من أبي نعيم واستصغر في سفيان الثوري. التقريب ١ / ٥٣٩ رقم ١٥١٢، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٣ رقم ٣٤٣.

=

وأخرجه النسائي قال أخبرنا القاسم بن زكريا بن دينار قال حدثنا عبيد الله بن موسى ... بهذا الإسناد^(١).

وأخرجه ابن الجارود والدارقطني وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من طريق عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وذكرنا نحو حديث الإمام أحمد.

=

٤ - وعلي بن صالح بن صالح بن حي الهمداني أبو محمد الكوفي، ثقة عابد، من الطبقة السابعة، التقريب ٢ / ٣٨ رقم ٣٥٦، الكاشف ٢ / ٢٨٧ رقم ٣٩٨٤.

٥ - وسماك بن حرب تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير بأخرة فكان ربما يلحق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة. أنظر الحديث رقم (٥).

٦ - وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته. انظر الحديث رقم (٥).

وهذا إسناد متصل لسمع رواته بعضهم من بعض. أنظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٣ رقم ٥٦٩، ٧ / ٥٠ رقم ٩٧، ٧ / ٣٣٢ رقم ٥٦٠، ٧ / ٢٦٣ رقم ٤٧٥.

(١) سنن النسائي، كتاب القسامة، باب تأويل قوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» ٨ / ١٨.

وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي^(١).

وبهذا تبين لنا أن في الإسناد الأول لهذا الحديث عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تغير لما قدم بغداد.

وفي الإسناد الثاني سمك بن حرب وقد تغير بأخرة وفي روايته عن عكرمة اضطراب وقد روي هذا الحديث عن عكرمة.

ولكن اتفاق هذين الراويين على سياق هذا الحديث بألفاظ متقاربة يدل على سلامته من الاضطراب والاختلاف وهما صدوقان كما سبق فيصبح الحديث صحيحاً لغيره، ولعل تصحيح الحاكم رواية سمك بن حرب وموافقة الذهبي إياه على ذلك لاعتضاده برواية عبد الرحمن بن أبي الزناد.

(١) المنتقى لابن الجارود، باب الحكم بين أهل الذمة رقم ٣٥٩١، سنن الدارقطني، كتاب

الحدود والديات ٣ / ١٩٨ رقم ٣٤٤.

موارد الزمآن، كتاب التفسير رقم ١٧٣٨.

المستدرک، کتاب الحدود ٤ / ٣٦٦.

سنن البيهقي، كتاب الجنائيات، باب إيجاب القصاص في العمد ٨ / ٢٤.

٢- قال الإمام البخاري: وقال ابن عباس: «شَرَعَهُ وَمِنْهَا جَاءَ»^(١):
سبيلاً وسنة^(٢).

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق أبي إسحاق السبيعي عن
التميمي عن ابن عباس^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله عبد الرزاق في تفسيره بسند
صحيح^(٣).

بيان المعنى: -

قوله «أنزلها الله في الطائفتين من اليهود كانت إحداهما قد قهرت
الأخرى» بين بني النضير وبني قريظة، والقاهرة هي بنو النضير
والمقهورة هي بنو قريظة، كما جاء في رواية أخرى أخرجها الإمام أحمد
مختصرة عن ابن عباس قال: كان بنو النضير إذا قتلوا قتيلاً من بني

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، الباب الأول.

(٢) تفسير الطبري ٦ / ٢٧٠.

(٣) فتح الباري ١ / ٤٨.

قريظة أدوا إليهم نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة فسوى رسول الله ﷺ بينهم الدية^(١)، وكذلك جاء في رواية عكرمة السابقة التي أخرجها أبو داود والنسائي وغيرهما.

قوله «ولم يظهر» يعني ولم يظهر رسول الله ﷺ على الطائفتين من اليهود ولم يغلبهما بعد حيث كانوا معه في المعاهدة التي أبرمها معهم لما قدم المدينة، وجاء في مجمع الزوائد «ورسول الله ﷺ لم يظهر» ونسبه الهيثمي للإمام أحمد^(٢). فلعله جاء هكذا في نسخة أخرى للمسند.

وقوله «ولم يوطئها عليه وهو في الصلح» يعني ولم يوافقهما على هذا الأمر الذي اصطلحوا عليه وهو معهم لا يزال في المعاهدة التي تمت بينه ﷺ وبينهم.

وقد روي في سبب نزول هذه الآيات قصة أخرى وهي خبر رجوع اليهود إلى رسول الله ﷺ في حد الرجم، وقد وردت في أحاديث

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٣٦٣.

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ١٥.

منها ما أخرجه الإمام مسلم من حديث البراء بن عازب قال: مرَّ على [١٠١] النبي ﷺ بيهوديٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فدعاهم ﷺ فقال «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا ولو لا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرجم، فأنز الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَّمْ

يَحْكُمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾، في الكفار كلها^(١).

ومن الرواية الأولى تبين لنا أن الآيات نزلت بسبب قضية القصاص بين اليهود وتحاكمهم في ذلك إلى رسول الله ﷺ، وفي الرواية الثانية تبين لنا أن هذه الآيات نزلت بسبب قضية الرجم والاستفتاء الذي جرى من اليهود لرسول الله ﷺ في ذلك، وقد صح سند الروايتين فيحتمل أن القضيتين جرتا في وقت متقارب فنزلت هذه الآيات فيهما معاً، لكن قضية القصاص أقرب لمعنى هذه الآيات من وجوه:

١- أنه قد ذكر القصاص في آخر هذه الآيات في قوله تعالى ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ الآية، فهذا يقوي كون سبب النزول قضية القصاص كما ذكر الحافظ ابن كثير^(٢).

٢- أن الله سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآيات أن المسارعة إلى

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رقم ٦، حديث رقم ٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٥.

الكفر صادرة من المنافقين واليهود، وقضية الرجم لم يذكر فيها دور للمنافقين بينما ذكر في قضية القصاص أن الطائفة العزيزة من اليهود دسوا أناساً من المنافقين إلى رسول الله ﷺ ليعلموا رأيه في القضية قبل أن يحكموه.

٣- ولأن الله سبحانه ذكر في هذه الآيات تحاكمهم إلى النبي ﷺ ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية، ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهذا يتناسب مع قضية القصاص لأن فيها خصومة بين طائفتين من اليهود، أما قضية الرجم فليس فيها خصومة حتى يقع بسببها التحاكم إلى رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى ﴿أَكَلُّونَ لِلْسُّحْتِ﴾ المراد بالسحت هنا أخذ الرشوة في الحكم، كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُّونَ لِلْسُّحْتِ﴾

قال: وذلك أنهم أخذوا الرشوة في الحكم، وقضوا بالكذب^(١).

وقد نقل ابن جرير أيضًا تفسير السحت بالرشوة عن بعض الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم^(٢).

وأصل السحت الاستئصال، ومنه قوله تعالى ﴿لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه / ٦١] - يقال: سحته وأسحته إذا استأصله، ومنه قول الفرزدق:-

وعَصَّ زَمَانُ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ
مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا
فالمسحت هو الذي استأصله إهلاكًا وإفسادًا، والمجلف هو الذي أخذ من جوانبه^(٣).

(١) تفسير الطبري ٦ / ٢٤٠.

(٢) تفسير الطبري ٦ / ٢٣٩ - ٢٤١.

(٣) معاني القرآن للزجاج، ٢ / ١٩٤ لسان العرب (مادة سحت) و(جلف)، تفسير القرطبي ٦ / ١٨٢.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿[المائدة / ٨٧ - ٨٨].

قال الإمام الترمذي: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي أخبرنا [١٠٢] أبو عاصم أخبرنا عثمان بن سعد أخبرنا عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ﴾ قال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم من غير حديث عثمان بن سعد مرسلاً ليس فيه عن ابن عباس ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً^(١).

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٣٠٥٤.

بيان الإسناد:

- ١- أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وأربعين ومائتين أخرج له الجماعة^(١).
- ٢- وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني البصري، الملقب بالنبل، وهو ثقة ثبت، من الطبقة التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين أو بعدها، أخرج له الجماعة^(٢).
- ٣- عثمان بن سعد الكاتب أبو بكر البصري، وهو ضعيف، من الطبقة الخامسة، وقد أخرج له أبو داود والترمذي^(٣).
- ٤- وعكرة ثقة ثبت^(٤).

(١) التقريب ٢ / ٧٥ رقم ٦٤٠، تذكرة الحفاظ ١ / ٤٨٧ رقم ٥٠٢.

(٢) التقريب ١ / ٣٧٣ رقم ١٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٦٦ رقم ٣٦٠.

(٣) التقريب ٢ / ٩ رقم ٦١، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٤ رقم ٥٥١١.

(٤) انظر الحديث رقم (٥).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض^(١) فإسناده متصل، ورواته ثقات ما عدا عثمان بن سعد الكاتب فهو ضعيف لكن يشهد لهذا الحديث ما أخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: هم رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فذكر ذلك لهم فقالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني»^(٢). وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس^(٤).

(١) انظر (تهذيب التهذيب ٨ / ٨٠ رقم ١٢٠، ٤ / ٤٥٠ رقم ٧٨٣، ٧ / ١١٧ رقم ٢٥٣).

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٠.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

(٤) تفسير الطبري ٧ / ١٠.

وإسناده ضعيف كما تقدم^(١).

وبناء على ما جاء في هذه الرواية يكون المراد بالاعتداء في الآية
تحريم ما أحل الله، وذلك لأن التحريم والتحليل مما يختص به الله
تعالى وحده، فمن حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم الله فقد جاوز
حده وإن كانت نيته التقرب إلى الله تعالى.

(١) انظر الحديث رقم (٣٥).

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة / ٩٠].

١- قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد [١٠٣]

المروزي حدثنا علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء / ٤٣] و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة / ٢١٩] نسختها التي في المائدة ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ الآية^(١).

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

بيان الإسناد: هذا الحديث تقدم في سورة البقرة وتبين لنا أن فيه

علي بن الحسين بن واقد قد اتهم بالوهم وقد خالفه في هذا الحديث

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، الباب الأول، حديث رقم ٣٦٧٢.

(٢) السنن الكبرى، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الخمر ٨ / ٢٨٥.

من هو أوثق منه وهو يحيى بن واضح فرواه عن عكرمة والحسن البصري على أنه من كلامهما كما تقدم بيان ذلك^(١).

بيان المعنى:

ذكر ابن عباس في الأثر الأول الآيات الثلاث التي فيها النهي عن شرب الخمر. الأولى قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ففي هذه الآية تحذير من تعاطي الخمر والميسر من غير قطع بتحريمهما وذلك ببيان أن الإثم المترتب على تعاطيهما أكبر ضرراً على المسلم من فقد متعتهما.

الثانية قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ فهذه الآية قاطعة بتحريم شرب الخمر قرب أوقات الصلاة بالقدر الذي لا يتمكن فيه من الصحو قبل وقت الصلاة.

(١) انظر الحديث رقم (١٣).

الثالثة: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذه الآية قاطعة بتحريم الخمر والميسر مطلقاً.

وقد جاء في هذا الأثر عن ابن عباس أن الآية الأخيرة ناسخة للآيتين الأولين، والمقصود من ذلك أن القطع بتحريم الخمر والميسر دائماً المفهوم من الآية الأخيرة ناسخ للإبقاء على إباحتهما مطلقاً المفهوم من الآية الأولى وعلى إباحة الخمر في بعض الأوقات المفهوم من الآية الثانية.

وقد سبق بيان معنى الخمر والميسر في تفسير قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.

والذي يظهر من ذلك أن تحريم الخمر على هذه المراحل الثلاث كان من قبيل التدرج في التشريع من الأخف إلى الأثقل وذلك أنه لما كان المدمن على الخمر من الصعب عليه أن يتركها دفعة واحدة نزل أولاً بيان أن شربها لا يليق بالمؤمن بالله لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة وتورث العداوة والبغضاء ثم نزل بعد ذلك تحريم شربها في

بعض الأوقات دون بعض ليتدرب شاربها على التقليل منها تمهيداً
لاجتنابها بعد نزول النهي عنها دائماً.

وهذا المعنى لا ينفي أن تكون الآية الأخيرة ناسخة للآيتين
الأوليين كما قال ابن عباس لأن في الحكم المفهوم منها إزالة لبعض ما
يفهم من الآيتين الأوليين كما سبق.

وقوله ﴿رَجَسُ﴾ الرجس الشيء القذر^(١)، المعنى: هذه الأشياء
التي ذكرها الله سبحانه وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام أمور
مستقرة مستقبحة شرعاً لما يترتب عليها من الآثام الكبيرة ﴿مَنْ عَمِلْ
الشَّيْطَانَ﴾ يعني وسوسته وتزيينه.

(١) لسان العرب (مادة رجس).

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة / ٩٣].

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك عن [١٠٤] عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى آخر الآية^(١).

بيان الإسناد:

١- وكيع هو ابن الجراح الرؤاسي وهو ثقة حافظ عابد، تقدمت ترجمته .

٢- إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو ثقة تقدمت ترجمته.

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٢٣٤.

٣- وسماك هو ابن حرب تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير بأخرة وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة.

٤- وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته.

وأخرجه الإمام أحمد من طريق آخر عن إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله^(١).

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وأخرجه الحاكم من طريق إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي^(٣).

هذا وقد تبين لنا أن هذا الحديث يدور إسناده على سماك بن حرب وقد تغير في آخر عمره وروايته عن عكرمة فيها اضطراب وقد

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٢٧٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير سورة المائدة رقم ٣٠٥٢.

(٣) المستدرک، کتاب الأشربة ٤ / ١٤٣.

رواه هنا عن عكرمة، ولكن له شاهد أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر حرمت فقال لي اذهب فأهرقها قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ^(١) فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾^(٢).

وأخرجه الإمام الترمذي قال: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: مات رجال من أصحاب النبي ﷺ قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت

(١) الفضيخ البسر إذا شدخ وجعل منه النبيذ. ويطلق أيضاً على خليط البسر والرطب إذا نبذ. (فتح الباري ١٠ / ٣٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٤٦٢٠.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه شعبة عن
أبي إسحاق عن البراء حدثنا بذلك بن دار^(١).

ثم ذكر حديث شعبة وهو مثل حديث إسرائيل.

وهذا الحديث صحيح ورجاله ثقات كما سبق في تراجعهم^(٢).

وبهذين الحديثين يتقوى حديث ابن عباس السابق فيكون
صحيح الإسناد كما ذكر الإمام الحاكم والذهبي.

ويتبين لنا من هذين الشاهدين الصحيحين أن حديث ابن
عباس مما روي عن سماك بن حرب قبل تغيره وأنه مما لم تضطرب
روايته فيه عن عكرمة ولهذا حكم عليه الحاكم والذهبي بالصحة.

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة رقم ٣٠٥٠ و ٣٠٥١.

(٢) انظر رقم ٥ و ١٠١ و ١١٠ أما أبو إسحاق فهو السبيعي عمرو بن عبد الله وهو ثقة عابد
(التقريب/ ٧٣ رقم ٦٢٣).

بيان المعنى :

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بأنه قد رفع الحرج عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شربهم الخمر قبل تحريمها إذ أن شربهم إياها آنذاك لا يعتبر مخالفة لأوامر الله جل وعلا، والحال أنهم قد اتقوا الله وآمنوا به إيماناً صادقاً وعملوا الصالحات ثم ازدادوا تقوى وإيماناً بما يقدمونه من الأعمال الصالحة وما يتقونه من المحرمات عليهم حتى بلغوا مرتبة الإحسان التي هي كمال مراقبة الله تعالى في السر والعلن المنبثقة عن تعظيم الله عز وجل وشدة الخوف منه والرجاء لما عنده حتى كأن العبد يشاهد ربه من شدة تذكره واستحضاره في قلبه كما جاء في بيان النبي ﷺ لمعنى الإحسان حينما سأله عنه جبريل عليه السلام فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». أخرجه الشيخان^(١).

فقوله تعالى ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ الخ ليس قيداً في رفع الجناح؛

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان رقم ٥٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان رقم ١.

لأن رفع الإثم عن الإنسان فيما يطعم هو في كون ما يطعمه حلالاً لا باتصافه هو بهذه الصفات، وإنما ذكر الله سبحانه هذه الصفات على سبيل الامتداح والثناء على أولئك المؤمنين السابقين.

ومما يدل على ذلك ما أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الشراب كانوا يضربون على عهد رسول الله ﷺ بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله ﷺ وكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو فرضنا لهم حدًا، فتوخى نحوًا مما كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ فكان أبو بكر رضي الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفي ثم قام من بعده عمر فجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد كان شرب فأمر به أن يجلد فقال: لم تجلدني بيني وبينك كتاب الله عز وجل. فقال عمر رضي الله عنه: في أي كتاب الله تجد أني لا أجلك؟ فقال إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا

وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ﷺ بدرًا والحديبية والخندق والمشاهد، فقال عمر رضي الله عنه: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذرًا للماضين وحجة على الباقين لأن الله عز وجل يقول ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى، ومن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وآمنوا وأحسنوا فإن الله عز وجل نهى أن تشرب الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: صدقت فماذا ترون؟ فقال علي رضي الله عنه: نرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري وعلى المفتري ثمانون جلدة فأمر عمر رضي الله عنه فجلد ثمانين.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس^(٢).

(١) المستدرک ٤ / ٣٧٥، کتاب الحدود.

(٢) السنن الكبرى ٨ / ٣٢٠، کتاب الأشرية، باب حد الخمر.

فمن هذه الرواية تبين لنا أن أحد الصحابة قد اشتبه عليه معنى قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فظن أن من آمن بالله واتقاه وعمل الصالحات وأحسن لا جناح عليه في شرب الخمر وفهم أن قوله تعالى ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ إلى آخره قيود في رفع الجناح عن شرب الخمر فبين له ابن عباس أن هذه الآيات عذر للماضين حيث شربوا الخمر قبل أن تحرم عليهم فلا ينقص ذلك مما تحلوا به من التقوى والإيمان والعمل الصالح والإحسان، وحجة على الباقيين لأن من شربها بعد ما حرمها الله لا يكون من المتقين ولا من المحسنين.

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية على اعتبار سبب نزولها: يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفات ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل

جناح؟ فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح: ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً تريد أن زيداً تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل^(١).

(١) الكشف للزخشري ١ / ٦٤٣.

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ
تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٠١)
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿ [المائدة/ ١٠١ - ١٠٢].

قال الإمام البخاري: حدثني الفضل بن سهل قال: حدثنا [١٠٥]

أبو النضر حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو الجويرية عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال «كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من
أبي؟ ويقول الرجل: تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ حتى
فرغ من الآية كلها^(١).

وأخرجه البيهقي من طريق أبي النضر بهذا الإسناد إلى أبي
جويرية أنه قال: سمعت أعرابياً من بني سليم سأل - يعني ابن

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب رقم ١٢ حديث رقم ٤٦٢٢.

عباس - عن الضَّوَالِّ، فقال: ما ترى في الضَّوَالِّ؟ قال: من أكل من الضَّوَالِّ فهو ضال، قال: ما ترى في الضَّوَالِّ؟ قال: من أكل من الضَّوَالِّ فهو ضال، ثم سكت الرجل، وأخذ ابن عباس يفتي الناس - يقول أبو الجويرية فتوى كثيرة لا أحفظها - فقال الأعرابي: أراك أصدرت الناس غيري أفترى لي توبة؟ قال: ويلك لا تسأل هذه المسألة قال: وما أشد مسألتك! قال: استغفر الله وأتوب إليه وأجل ما صنعت، قال: أتدري فيم نزلت هذه الآية ﴿يَكْتُمُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل يضل ناقيته: أين ناقتي فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية^(١).

بيان المعنى:

هذه الرواية مجملة لم يبين فيها سبب نزول معين وإنما جاء فيها أن الآية نزلت بسبب أسئلة كانت تلقى على النبي ﷺ بعضها لغرض

(١) سنن البيهقي كتاب اللقطة، باب ما يجوز له أخذه وما لا يجوز ٦ / ١٩١.

صحيح، ولكن لم تدع الضرورة إليه، وبعضها تصدر استهزاء بالنبي ﷺ، ولا يكون هذا إلا من المنافقين.

وقد أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ذاك يوم قام فيهم النبي ﷺ فقال: لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، قال: فقام رجل فكره المسلمون مقامه يومئذ فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال أبوك حذافة قال: فنزلت هذه الآية^(١).

وأخرج الشيخان من حديث قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبي الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة، ثم أنشأ عمر فقال: رغبتنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، نعوذ بالله من سوء الفتن فقال النبي ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كالיום قط

(١) تفسير الطبري ٧ / ٨١.

إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتها دون الحائط، قال قتادة: يذكر هذا الحديث عند هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾.

وفي بعض روايات الشيخين عن أنس رضي الله عنه «فنزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾».

وفي رواية أخرى للإمام البخاري «فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: النار»^(١).

وابن حذافة المذكور في الحديث هو عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه وهو من أفاضل الصحابة، وليس هو المقصود من قول ابن عباس في الرواية السابقة «يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أبي» فإن عبد الله بن حذافة من المؤمنين الصادقين وأسئلة

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب رقم ١٥ حديث ٧٠٨٩، وكتاب الاعتصام، باب رقم ٣ حديث رقم ٧٢٩٤.

صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رقم ٣٧ حديث ١٣٤، ١٣٧.

الاستهزاء لا يتصور وقوعها ممن يظهر الإيمان إلا من المنافقين، وإنما أراد ابن عباس أن يبين أنواع الأسئلة التي تلقى على النبي ﷺ، وبسببها نزلت هذه الآية، وأن من هذه الأسئلة ما يصدر على سبيل الاستهزاء.

١٠ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرْدَ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَلِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة / ١٠٦ - ١٠٨].

قال الإمام البخاري: قال لي علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن آدم [١٠٦]

حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن عبد الملك بن سعيد ابن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخصوصاً من ذهب

فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية ﴿يَكْفُرُ أَكْفَارًا﴾^(١).

وأخرجه أبو داود والترمذي والدارقطني والبيهقي والطبري^(٢).

بيان المعنى:

في هذه الآيات بيان حكم الوصية عند الموت وذلك بأن يوصي من حضره الموت بوصيته ويشهد عليها رجلين مسلمين عدلين، فإن كان في سفر إلى بلاد الكفار ولم يجد مسلمين يشهدهما فيشهد رجلين

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب رقم ٣٤ حديث رقم ٢٧٨٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب شهادة أهل الذمة رقم ٣٦٠٦.

سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة حديث رقم ٣٠٥٩.

سنن الدارقطني، كتاب النذور رقم ٣٠، ٣١ (٤ / ١٦٨).

سنن البيهقي، كتاب الشهادات ١٠ / ١٦٥.

تفسير الطبري ٧ / ١١٥.

من الكفار ممن يستطيع إيصال وصيته إلى أهله، فإن شك أولياء الموصي من شهادتهما طلب منهما الحاكم أن يقسم بالله بعد الصلاة ما خانا في الشهادة ولا كتما شيئاً من الوصية، فإن عثر بعد ذلك على أنهما قد ارتكبا إثماً في شهادتهما بأن كذبا وخانا في الوصية فإن الحاكم يحلف رجلين من أولياء الموصي الأقربين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادة الشاهدين اللذين استأمنهما الموصي وأنهما لم يعتديا عليهما في ذلك ثم يغرم الشاهدان ما ظهر عليهما من حق الموصي.

وهذا الحكم المأخوذ من هذه الآيات يؤيده سبب النزول السابق الذكر، وقوله «فقدوا جاماً من فضة مخصوصاً من ذهب» أي إناء مصنوعاً من الفضة ومنقوشاً من الذهب على هيئة الخوص^(١).

وقد اختلف الفقهاء في حكم هذه الآيات هل هو منسوخ أم

محكم؟

فالذين قالوا إنه محكم، منهم من قال إن الخطاب في قوله تعالى

(١) فتح الباري ٥ / ٤١١.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ للمسلمين عموماً والمراد بقوله ﴿مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ الكفار، وبناء على هذا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر عند عدم وجود المسلمين، وبهذا قال جمع من السلف منهم سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وقتادة وشريح ومجاهد وسفيان الثوري والنخعي واختاره أحمد بن حنبل، وقد استدلوا على ذلك بظاهر الآية وبما جاء في سبب نزولها وبما روي عن الصحابة في ذلك، ومنه ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين فإن ارتب في شهادتهما استحللنا بعد الصلاة بالله لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً^(١).

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه والطبري في تفسيره من

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٠٩.

حديث الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه^(١) ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدا الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وإنما لوصية الرجل وتركته، فأمضى شهادتهما^(٢).

قال ابن كثير بعد ما ذكر هذا الأثر بإسناد الطبري من طريقين: «وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي عن أبي موسى الأشعري»^(٣).
ومن الذين قالوا إن الآية محكمة غير منسوخة من قال إن قوله تعالى ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ يعني من قومكم وعشيرتكم، وقوله ﴿مِّنْ

(١) دقوقا بفتح الدال وضم القاف وألف ممدودة ومقصورة مدينة بين اربل وبغداد لها ذكر في

الأخبار والفتوح كان بها وقعة للخوارج. ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٤٥٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب شهادة أهل الذمة رقم ٣٦٠٥.

تفسير الطبري ٧ / ١٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ١٢٢.

غَيْرِكُمْ» يعني من غير عشيرتكم وقومكم من المسلمين، وبناء على هذا التفسير لا يكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الكتاب على المسلمين. وبهذا قال الحسن البصري وعكرمة والزهري.

وقيل إن المراد بقوله تعالى ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الكفار كالقول الأول ولكن الآية منسوخة، وبهذا قال زيد بن أسلم، وأخذ به مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم إلا أن أبا حنيفة قال: تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض ولا تجوز على المسلمين.

واحتج هؤلاء الفقهاء بقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، والكفار ليسوا من أهل العدالة، قالوا: وآية الدين من آخر ما نزل وفيها ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، والكفار ممن لا ترضى شهادتهم، فهذا ناسخ لما في آية المائدة، وقالوا أيضًا: قد أجمع المسلمون على أن شهادة الفساق لا تجوز والكفار فساق فلا تجوز شهادتهم.

وأجابوا عن هذه الآية بأن الإسلام حين نزول هذه الآية لم يجاوز المدينة فجازت شهادة أهل الكتاب، وهو اليوم قد طبق الأرض فسقطت شهادة الكفار.

وقد اختار ابن جرير الطبري وابن كثير والقرطبي والنحاس القول بأن الآية محكمة وأنها في شهادة الكفار على المسلمين في حال الوصية في السفر عند عدم وجود المسلمين واستدلوا لذلك بما سبق ذكره من قصة تميم الداري وما روي عن ابن عباس وأبي الحسن الأشعري رضي الله عنهم^(١).

وأجاب القرطبي عن أدلة القول بالنسخ بأن جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين هي قضية خاصة وذلك في الوصية في السفر عند الضرورة حيث لا يوجد مسلم، وما ذكروه من قوله تعالى ﴿وَمَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ وأنه ناسخ لآية الوصية إنما هو في قضية أخرى فلا ينطبق على قضية الوصية لمكان الحاجة والضرورة فيها، وما ادعوه من النسخ لا يصح فإن النسخ لا بد فيه من إثبات النسخ والمنسوخ

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٠٠ - ١٢٤.

تفسير القرطبي ٦ / ٣٤٩.

تفسير ابن كثير ٢ / ١٢٠ - ١٢٣.

أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٤٨٩.

على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تراخي النسخ^(١).

وقد أخرج البيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه قال في هذه الآية: هي منسوخة^(٢).

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم^(٣) فتقدم عليه الروايات
الصحيحة السابقة.

(١) تفسير القرطبي ٦ / ٣٥٠.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم}،
١٠ / ١٦٤.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

﴿سورة الأنعام﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ [الأنعام / ٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٠٧]

﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ لشبهنا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وذكر مثله^(٢).

وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

بيان المعنى:

معنى الآية: ولو جعلنا الرسول ملكًا كما طلب ذلك كفار مكة

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٥٣.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

لجعلناه في صورة رجل حتى يتمكنوا من مخاطبته والاستفادة منه، ولو جعلناه كذلك لاشتبه عليهم أمره فظنوه رجلاً مثلهم كما أوجدوا لأنفسهم الشبهات حين بعث إليهم رسول منهم.

وقد روي عن ابن عباس الآية تفسير آخر وهو أن الآية نزلت في أهل الكتاب وذلك ما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلَبُّسُونَ﴾: فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف الكلام عن مواضعه^(١).

وإسناد هذه الرواية ضعيف كما تقدم^(٢) فترجح عليها الرواية السابقة من حيث الإسناد كما أن هذا التفسير بعيد عن سياق الآيات حيث إن ما قبل هذه الآية قد نزل في مجادلة المشركين.

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٥٣.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام / ١٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ «أهل مكة»^(١). [١٠٨]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس في قوله ﴿لَأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ قال: يعني أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني:

ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير^(٢).

وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٦٣.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام/

٢٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [١٠٩]

معذرتهم^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء

الخراساني عن ابن عباس في قوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: قولهم^(٢).

وأخرجه أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس قال: فهو

كلامهم، قالوا ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣).

بيان المعنى: -

قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ الفتنة الابتلاء والاختبار وتفسير

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٦٦.

(٣) تفسير الطبري ٧ / ١٦٦.

الفتنة بالمعذرة ليس بياناً لمعنى الفتنة في اللغة وإنما هو بيان لعاقبة فتنتهم فالمعنى ثم لم تكن عاقبة ابتلائهم واختبارهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين.

قال ابن جرير: وإنما الفتنة الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم^(١).

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٦٧ .

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
[الأنعام / ٢٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿وَيَنْتَوُونَ﴾ يتباعدون^(١). [١١٠]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ قال: يعني ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به ﴿وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ يعني يتباعدون عنه^(٢).
وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

بيان المعنى :-

من هذه الرواية تبين أن هذه الآية نزلت في مشركي مكة حيث كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ والإيمان به ويتباعدون عنه.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٧٢.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

وقد روي عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر وهو ما أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به.

قال أبو عبد الله: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي^(١).

وبهذا تبين لنا أن في الآية قولين عن ابن عباس رضي الله عنهما. الأول: أن الآية نزلت في مشركي مكة حيث كانوا ينهون الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ ويتباعدون عن الإيمان به. الثاني: أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى المشركين عن إيذاء رسول الله ﷺ ويتباعد عن الإيمان بما جاء به.

ومن دراسة سياق هذه الآية يتبين لنا أن القول الأول أرجح حيث إن ما قبل هذه الآية وما بعدها في مشركي مكة وليست في أبي طالب.

(١) المستدرک ٢ / ٣١٥، كتاب التفسير.

وقد اختار ابن جرير هذا القول ورجحه بمناسبته لسياق الآيات^(١).

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٧٣.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ [الأنعام / ٣٥].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿نَفَقًا﴾ [١١١]

سرباً^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قوله ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ والنفق السرب، فتذهب فيه ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أو تجعل لك سلماً في السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل^(٢).

وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء باب رقم ٢٥.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ١٨٤.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

وقوله «والنفق: السرب» يعني الطريق الممتد باطن الأرض، مأخوذ من نافقاء اليربوع، قال الزجاج: والنفق الطريق النافذ في الأرض، والنافقاء ممدود أحد حجرة اليربوع يخرقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقها حتى إن رابه ديبب رفع برأسه هذا المكان وخرج منه^(١).

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الأثر عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء / ١٤٥]، وذلك لتناسب الكلمتين: النفاق والنفق من حيث الاشتقاق.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢ / ٢٦٧.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا^ج وَذَكَّرَبِهِ^{هـ} أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا^ط أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا^ط لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام/٧٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿تُبْسَلَ﴾ تفضح [١١٢]

﴿أُبْسِلُوا﴾ أفضحوا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ﴿وَذَكَّرَبِهِ^{هـ} أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ قال: تفضح، وفي

قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ قال: فضحوا^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ٢٣٢، ٢٣٥.

بيان المعنى:

الإبسال في اللغة يطلق على التحريم، ومنه قول ضمرة النهشلي:

بَكَرَتْ تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعَتَابِي

أي حرام عليك ملامتي وعتابي^(١).

قال الراغب الأصفهاني: ولتضمنه معنى المنع قبل للمحرّم

والمرتن بَسَلٌ وقوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾

أي تحرم الثواب والفرق بين الحرام والبسل أن الحرام عام فيما كان

ممنوعاً منه بالحكم والقهر والبسل هو الممنوع منه بالقهر قال عز وجل

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أي حرّموا الثواب^(٢).

وقوله تعالى ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ قيل معناه: أن تسلم - أي تقاد إلى

الهلاك بما عملت من سوء - وبهذا قال عكرمة والحسن البصري

(١) تفسير الطبري ٨ / ٢٣٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن / ٤٦.

ومجاهد^(١).

وقيل معناه: أن تجس، أي تمتنع من الحصول على الثواب،
وتؤخذ بما عملت، وبهذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٢)
وبه قال الفراء^(٣).

وتفسير ابن عباس الإبسال بالفضح من باب التفسير باللازم أي
من لازم أخذهم بالعذاب بما كسبوا أن يفضحوا.

ومعنى الآية على هذا: وذكر يا رسول الله بالقرآن هؤلاء الكفار
الذين يتخبطون في ظلام الجهل ويخوضون في آيات الله بالباطل كي لا
تحرم نفس من ثواب الله تعالى وتبوء بأليم عقابه بسبب ما تكسبه
لنفسها من عمل السوء والابتعاد عن العمل الصالح فتفتضح بذلك
أمام الله وأمام الناس، ثم تطلب الفداء لنفسها بما تملك فلا يقبل منها.

(١) تفسير الطبري ٨ / ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٢٣٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٣٩.

وقوله في رواية البخاري «أفصحوا» قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه من الرباعي وهي لغة^(١).

(١) فتح الباري ٨ / ٢٨٧.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام / ٩٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بَاسِطُوا [١١٣]

أَيْدِيهِمْ﴾ البسط الضرب^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة قال: هذا عند

الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم^(٢).

وتفسير ابن عباس البسط بالضرب ليس تفسيراً لفظياً لهذه

الكلمة وإنما معنى البسط المد، بل هو بيان لما بسطوا أيديهم له وهو ضرب الكفار.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧ / ٢٧٥.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيَجْذِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام / ١٢١].

١ - قال الإمام النسائي: أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى [١١٤]

قال حدثنا سفيان قال حدثني هارون بن أبي وكيع - وهو هارون بن عنتره عن أبيه عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: خاصمهم المشركون فقالوا: ما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه!!^(١).

بيان الإسناد:

١ - عمرو بن علي هو الفلاس وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته.

٢ - يحيى هو ابن سعيد بن فروخ القطان التميمي البصري وهو

(١) سنن النسائي، كتاب الأضاحي، باب قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} ٧/

ثقة متقن حافظ إمام قدوة، من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة، أخرج له الجماعة^(١).

٣- سفيان هو الثوري وهو ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته.

٤- وهارون بن عنتر بن عبد الرحمن الشيباني، لا بأس به، من الطبقة السادسة مات سنة اثنتين وأربعين ومائة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه في التفسير^(٢).

٥- وأبوه عنتر بن عبد الرحمن الشيباني الكوفي، ثقة من الطبقة

الثانية وقد وهم من زعم أن له صحبة، أخرج له النسائي^(٣).

وهؤلاء الرواة قد سمع بعضهم من بعض^(٤) فإسناده متصل،

ورجاله ثقات ما عدا هارون بن عنتر فلا بأس به، فإسناده على هذا

حسن.

(١) التقريب ٢ / ٣٤٨ رقم ٧٢، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩٨ رقم ٢٨٠.

(٢) التقريب ٢ / ٣١٢ رقم ١٩، الكاشف ٣ / ٢١٤ رقم ٦٠١٣.

(٣) التقريب ٢ / ٨٩ رقم ٣٨٧، الكاشف ٢ / ٣٥٥ رقم ٤٣٧١.

(٤) تهذيب التهذيب ٨ / ٨٠ رقم ١٢٠، ١١ / ٢١٦ رقم ٣٥٨، ٩ رقم ١٩، ٨ / ١٦٢ ورقم

وأخرجه الحاكم والطبري من طريق سفيان الثوري بهذا الإسناد وذكر مثله^(١).

٢- قال أبو داود السجستاني: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أُولِيَاءِهِمْ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم أنتم فكلوا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢).

بيان الإسناد:

١- محمد بن كثير هو العبدى البصري، وهو ثقة، لم يصب من ضعفه من كبار الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، وله تسعون سنة، أخرج له الجماعة^(٣).

(١) المستدرک ٤ / ٢٣٣، کتاب الذبائح، تفسير الطبري ٨ / ١٧.

(٢) سنن أبي داود، کتاب الأضاحي، باب ذبائح أهل الكتاب رقم ٢٨١٨.

(٣) التقریب ٢ / ٢٠٣ رقم ٦٥٤، الخلاصة ٣٥٧.

٢- إسرائيل هو ابن يونس وهو ثقة تقدمت ترجمته.

٣- وسماك هو ابن حرب وقد تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير

بأخرة وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة.

٤- وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته^(١)

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(٢).

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله^(٣).

وأخرجه الطبري من طريق إسرائيل بن يونس بهذا الإسناد

وذكر مثله^(٤).

٣- قال الإمام الترمذي: حدثنا محمد بن موسى البصري [١١٥]

الحري حدثنا زياد بن عبد الله البكائي حدثنا عطاء بن السائب عن

سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: أتى أناس النبي ﷺ فقالوا

(١) انظر ترجمة هؤلاء الثلاثة في الحديث رقم (٥).

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٤١٧ رقم ٦٨٤.

(٣) سنن البيهقي، كتاب الصيد بالذبائح، باب قوله تعالى {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه}

٩ / ٢٤١.

(٤) تفسير الطبري ٨ / ١٧.

يا رسول الله أأأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأأزل الله ﴿فكأأ﴾
 مَأَأ ذَأَأ أَأَأ الله عَأَأه إَأ كأَأ بعَأَأَأه مؤأأأ - إَأ قوله - ﴿وَإَأ أَأَأَأَأه
 إَأَأَأ مأَأَأأ﴾ .

وقال أبو عأأ: هذا أأأ أأأ عأأ عأأ^(١).

بأأ الإأأأ: -

١ - مأأ بن موسى بن نفأع الأأأ البأأ، فأه لأأ، من
 الطأأه العأأه، مات سنة ثأأ وأأأأ وأأأأ، أأأ له الأأأ
 والأأأ^(٢).

٢ - زأأ بن عأأ الله بن الطأأ العأأ البأأ، أبو مأأ
 الكوفأ أأأأ أأأ فأ المأأأ، وفأ أأأه عن أأأ إأأأ لأأ،
 ولم أأأ أن كأأأ كأأه، من الطأأه الأأأه، مات سنة ثلاث وثمانأأ
 ومأأه وأأأ له البأأأ فأ مأأع وأأأ مأأأه ومأأ والأأأ

(١) سنأ الأأأ، كأأ الأأأ، سورة الأنعام أأأ أأأ ٣٠٦٩.

(٢) الأأأ ٢ / ٢١١ أأأ ٧٤٨، المأأ فأ الأأأ ٢ / ٦٣٧، الأأأ / ٢٩٠.

وابن ماجة^(١).

٣- عطاء بن السائب صدوق اختلط وقد تقدمت ترجمته^(٢).

٤- سعيد بن جبير ثقة ثبت فقيه تقدمت ترجمته^(٣).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواه بعضهم من بعض^(٤).

٤- قال الإمام أبو داود السجستاني حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا [١١٦]

عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله فأنزل الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية^(٥).

(١) التقریب ١ / ٢٦٨ رقم ١١٨، الكاشف ١ / ٣٣٢ رقم ١٧١٢.

(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).

(٣) انظر الحديث رقم (١١).

(٤) تهذيب التهذيب ٩ / ٤٨٢.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب ذبائح أهل الكتاب رقم ٢٨١٩.

وأخرجه البيهقي من طريق عمران بن عيينة به وذكر مثله^(١).

بيان الإسناد:

١ - عثمان بن أبي شيبة ثقة حافظ وله أوهام تقدمت ترجمته.

٢ - عمران بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو الحسن الكوفي أخو سفيان، صدوق له أوهام، من الطبقة الثامنة أخرج له الأربعة^(٢).

وعطاء بن السائب صدوق اختلط.

وسعيد بن جبير ثقة ثبت.

وهذا إسناد متصل قد سمع رواه بعضهم من بعض^(٣).

ومن ترجمة رجال هذه الأسانيد تبين لنا أن إسناد الرواية الأولى حسن لأن فيه هارون بن عنتر الشيباني لم يصل إلى مرتبة الثقات

(١) سنن البيهقي ٩ / ٢٤٠، كتاب الصيد والذبائح، باب قوله تعالى {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه}.

(٢) التقريب ٢ / ٨٤ رقم ٧٣٦، الكاشف ٢ / ٣٥٠ رقم ٤٣٣٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٧ / ١٤٩ رقم ٢٨٩، ٨ / ١٣٦ رقم ٢٣٥.

ولكنه لا بأس به كما ذكر الحافظ ابن حجر.

أما الرواية الثانية ففي إسنادها سماك بن حرب وقد تغير بأخرة وروايته عن عكرمة مضطربة، وقد روى هذا الحديث عن عكرمة.

والرواية الثالثة في إسنادها محمد بن موسى بن نفع الحرشي فيه لين، وعطاء بن السائب اختلط بأخرة.

أما الرواية الرابعة ففي إسنادها عمران بن عيينة وقد اتهم بالوهم. وعطاء بن السائب وقد اختلط.

ولكن هذه الأسانيد يقوي بعضها بعداً فيرتفع عنها احتمال الضعف ويتقوى الإسناد الأول فيرتفع من الحسن إلى الصحة ويكون الحديث على هذا صحيحاً لغيره.

بيان المعنى:

من هذه الروايات تبين لنا أن هذه الآية نزلت في المشركين الذين حاولوا صرف المسلمين عن الالتزام بدينهم وإثارة الشبهات عندهم في بعض أحكام دينهم حيث شككواهم في حكم الإسلام في الميتة فقالوا لهم: إن الميتة ذبيحة الله فكيف تتركون ما ذبح الله وتأكلون ما

ذبحتم أنتم بأيديكم.

وقد بين الله تعالى أن هذا الجدل من المشركين هو من وحي أوليائهم من شياطين الجن والإنس ليصدوهم عن الدخول في الإسلام وليلبسوا على المسلمين أمر دينهم.

وجاء في إحدى الروايات التي أخرجها أبو داود والبيهقي عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ

وهذه الرواية تخالف سائر الروايات التي تثبت أن الآية نزلت في المشركين، وهذه الروايات صحيحة الإسناد أما هذه الرواية ففي إسنادها عمران بن عيينة الهلالي وهو متهم بالوهم وعطاء بن السائب وقد اختلط كما سبق.

ولكن الوهم في الرواية لم يأت من قبل عطاء بن السائب لأن الترمذي لم يرو عنه هذه الرواية من طريق عمران بن عيينة بل من طريق محمد بن موسى البصري الحرشي قال أخبرنا زياد بن عبد الله البكائي أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ .. فذكره وقد سبق ذكر هذه الرواية.

ففي هذه الرواية لم يبين من هم الذين أتوا النبي ﷺ، فتفسر بالروايات الصحيحة التي أثبتت أن الآية في المشركين، فلعل نسبة هذه المقالة إلى اليهود من أوهام عمران بن عيينة، وهو مع ضعفه قد خالف الثقات في هذا الحديث فإسناده منكر، ولهذا قال أبو حاتم فيه: لا يحتج بحديثه لأنه يأتي بالمناكير^(١).

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذا الحديث بهذا الإسناد عن سعيد بن جبير ولم يذكر فيه ابن عباس وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية ثم ضعفها من وجوه ثلاثة

أحدها: أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

الثاني: أن الآية من سورة الأنعام وهي مكية.

الثالث: أن هذا الحديث رواه الترمذي من طريق عطاء بن

السائب بهذا الإسناد ولفظه «أتى ناس النبي ﷺ»^(٢) وهي الرواية التي سبق ذكرها.

(١) تهذيب التهذيب ٨ / ١٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٥.

وقوله في إحدى الروايات السابقة «يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم فكلوا» الأمر هنا ليس على الحقيقة وإنما هو للتعجب والإنكار على المسلمين حيث يأكلون ما ذبحوا ولا يأكلون ما ذبح الله، ويبين ذلك ما أخرجه ابن جرير بإسناد الرواية السابقة نفسه «إن المشركين قالوا للمسلمين ما قتل ربكم فلا تأكلون وما قتلتم أنتم تأكلونه!».

وبناء على ما جاء في هذه الروايات يكون المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هو الميتة، وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير الآية بذلك، وذلك فيما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: الميتة^(١).

ولكن روى عن ابن عباس أن المراد ما ذبح فلم يذكر اسم الله عليه، أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق إسرائيل بن يونس عن

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٩ .

سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يقولون ما ذبح فذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه، فقال الله عز وجل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

قال أبو عبد الله: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي^(١).

ولا تعارض بين ما جاء في هذه الرواية وما جاء في الروايات السابقة لإمكان أن يكون القولان قد صدرا من المشركين فأنكروا على المسلمين عدم أكلهم من الميتة وعدم أكلهم مما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه والآية شاملة لكل ما لم يذكر اسم الله عليه سواء مات أو ذبح ولم يذكر اسم الله عليه.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هل يشمل

ذلك ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها أم لا؟

(١) المستدرک ٤ / ٢٣١ كتاب الأضاحي، و٤ / ١١٣ كتاب الأطعمة.

الذي روي عن ابن عباس هو أن ذبيحة المسلم تجوز إذا نسي أن يذكر اسم الله عليها، قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: من نسي فلا بأس^(١).

وأخرجه الدارقطني موصولاً من طريق عكرمة عن ابن عباس^(٢).

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء قال: حدثنا (ع) - يعني عكرمة - عن ابن عباس قال: إن في المسلم اسم الله فإن ذبح ونسي اسم الله فليأكل، وإن ذبح المجوسي وذكر اسم الله فلا تأكله^(٣).

وأخرجه الدارقطني من طريق ابن عيينة بهذا الإسناد دون قوله «وإن ذبح المجوسي» إلى آخره^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب رقم ١٥.

(٢) سنن الدارقطني ٤ / ٢٩٥، باب الصيد والذبائح رقم ٩٥.

(٣) مصنف عبد الرزاق، كتاب المناسك (٤) / ٤٨١ رقم (٨٥٤٨).

(٤) سنن الدارقطني، باب الصيد والذبائح، ٤ / ٢٩٥ رقم ٩٦.

وهذا الإسناد صحيح إلى ابن عباس كما ذكر الحافظ ابن حجر^(١).
وقال الإمام البخاري في تأييد قول ابن عباس بعد ما ذكر قوله
تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾: والناسي لا يسمى فاسقاً^(٢).

وفيما روى عن ابن عباس فيمن نسي التسمية تأييد لمن ذهب إلى
إباحة ذبيحة المسلم إذا نسي أن يذكر اسم الله عليها عند الذبح وهذا
هو مذهب الإمام أبي حنيفة وهو مروي عن الإمام مالك وأحمد بن
حنبل^(٣).

وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾. روي عن
ابن عباس أن المراد بالشياطين هنا شياطين الجن يوحون إلى أوليائهم
من الإنس، من ذلك ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن
عباس قال: لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أوليائه فقال لهم: ما قتل الله
لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم، فقال الله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ

(١) فتح الباري ٩ / ٦٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب رقم ١٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٢، تفسير القرطبي ٧ / ٧٥.

يُذَكِّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١﴾.

وهذا إسناده ضعيف^(١)، ولكن يقويه ما أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ﴿لِيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ لِيَجْدِلُوكُمْ﴾^(٢). وروى عن ابن عباس أن المراد بالشياطين في الآية شياطين الفرس الذين أوحوا إلى كفار مكة بأن يجادلوا رسول الله ﷺ في حل الميتة، وقد أخرج الطبراني في ذلك من طريق موسى بن عبد العزيز القنباري قال: حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام؟ فنزلت

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٦.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

(٣) تفسير الطبري ٨ / ١٧.

هذه الآية ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ^ط وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أي وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق موسى بن عبد العزيز القنباري عن الحكم بن أبان عن عكرمة ولم يذكر ابن عباس ولكن جاء فيه بعد قوله «وما ذبح الله - قال ابن عباس: بشمشار من ذهب»^(٢). فهذا دليل على أن عكرمة رواه عن ابن عباس.

وفي إسناده موسى بن عبد العزيز القنباري العدني وهو صدوق سيء الحفظ^(٣) وكذلك شيخه الحكم بن أبان العدني صدوق له أوهام^(٤).

والمراد بالشمشار أو الشمشير على اختلاف الروايتين السكين،

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ١٨٥.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ١٦.

(٣) تقريب التهذيب ٢ / ٢٨٦.

(٤) تقريب التهذيب ١ / ١٩٠، ووثقه الذهبي في «الكاشف ١ / ٢٤٤».

وقد جاء بيان معناه في رواية أخرجه ابن جرير عن عكرمة وفيها «فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه»^(١).

ولا تعارض بين كون المراد بالشياطين شياطين الجن وشياطين الإنس لأنهم يجتمعون جميعاً على محاولة إضلال المؤمنين ويعمل شياطين الإنس في هذا المجال بتسليط من شياطين الجن.

وقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ المراد بهذا طاعتهم في تحليل ما حرم الله مما لم يذكر اسم الله عليه؛ لأن التحليل والتحريم حق لله تعالى وحده وطاعته جل وعلا في ذلك عبادة له وحده، فمن أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما يحل الله فقد اتخذ مع الله إلهًا.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني في أكل الميتة استحلالاً إنكم لمشركون مثلهم^(٢).

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٦.

(٢) الدر المنثور ٣ / ٤٣.

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ^ط﴾

[الأنعام / ١٢٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١١٧]

﴿اسْتَكْثَرْتُمْ﴾ أضللتهم كثيراً^(١).

وأخرجه ابن جرير موصولاً من طريق علي بن أبي طلحة عن

ابن عباس قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ

الْإِنْسِ^ط﴾ يعني أضللتهم منهم كثيراً^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام ٨ / ٢٨٦.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٣٣.

١٠ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا^ط فَمَا كَانُوا لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانُوا لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى
شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام / ١٣٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ [١١٨]

مِنَ الْحَرْثِ ﴿جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً وللشيطان
والأوثان نصيباً^(١)﴾.

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا^ط﴾ قال: جعلوا لله من
ثمراتهم وما لهم نصيباً والشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمرة

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

مما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء، وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾^(١).

وهذا الأثر فيه بيان لمعنى الآية.

وأخرجه البيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).
وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق خصيف بن عبد الرحمن الجزري عن عكرمة عن ابن عباس ومن طريق العوفي عن ابن عباس^(٣).

(١) تفسير الطبري ٨ / ٤٠.

(٢) السنن الكبرى ١٠ / ١٠، كتاب الضحايا، باب ما حرم المشركون على أنفسهم.

(٣) تفسير الطبري ٨ / ٤٠.

١١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ١٤١ ﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ١٤٢ ﴿ ثَمَنِةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٤٣ ﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام / ١٤١ - ١٤٤].

١ - قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١١٩]

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما يعرش من الكرم وغير ذلك^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ قال: ما يعرش من الكروم ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ قال: ما لا يعرش من الكرم^(١).
وأخرج ابن جرير أيضًا من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فالمعروشات ما عرش الناس ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما خرج في البر والجبال من الثمرات^(٢).

٢- قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٢٠]

﴿حَمُولَةً﴾ ما يحمل عليها^(٣).

وأخرج ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ فأما الحمولة فالإبل

(١) تفسير الطبري ٨ / ٥٢.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٥٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم^(١).

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:
الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الإبل^(٢).

وكذلك أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس^(٣).

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمَّا
أَشْتَمَلْتُ﴾ يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضاً
وتحلون بعضاً؟^(٤).

وأخرجه ابن جرير الطبري موصولاً من طريق علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس قال في هذه الآية: يعني هل تشتمل الرحم إلا

(١) تفسير الطبري ٨ / ٦٣.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٦٣.

(٣) تفسير الطبري ٨ / ٦٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

على ذكر أو أنثى فهم يجرمون بعضاً ويحلون بعضاً^(١).

بيان المعنى:

بعد أن بين الله سبحانه ضلال المشركين حيث حرموا بعض ما رزقهم الله افتراء على الله بقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْعِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ وقوله ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجَرٌ لَا يَطْعُمُهَُا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾ (١٣٨) وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميثقة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴿بين سبحانه وتعالى بعد ذلك منته وفضله على عباده حيث أوجد لهم في هذه الأرض جنات متنوعة الأشكال بعضها يقوم بنفسه فلا يحتاج إلى عروش وبعضها يحتاج إلى عروش يقام عليها وفي كلا

(١) تفسير الطبري ٨ / ٦٧.

النوعين منافع يعرفها الناس فقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

ثم بين تعالى أنه أوجد لعباده مع ذلك نوعين من الأنعام .. نوعاً يركبون عليه ويحملون عليه أثقالهم، ونوعاً يتمتعون بلحمه وصوفه ووبره، فقال تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة يريد إضلالكم.

وقد تبين لنا من الرواية الأولى عن ابن عباس أن المراد بالحمولة في الآية ما يحمل عليه من الأنعام وهو كبار الإبل، وقد ذكر ابن عباس معها الخيل والبغال والحمير وهذه ليست من الأنعام ولكنها أُلْحِقَتْ بها لكونها يحمل عليها كالإبل.

أما الفرش فذكر ابن عباس في الرواية الأولى أن المراد به الغنم وذكر في الرواية الثانية أنه صغار الإبل.

والظاهر أنه يشمل ما لا يحمل عليه من الأنعام وهي صغار

الإبل والبقر والغنم لأن الفرش جاء في مقابل الحمولة فتبين أن المراد به ما لا يحمل عليه من الأنعام.

وقال ابن منظور: وفرش الإبل وغيرها صغارها الواحد والجمع في ذلك سواء، قال: وقيل الفرش من النعم ما لا يصلح إلا للذبح^(١)، وقال الفراء: الحمولة ما أطاق العمل والحمل والفرش الصغار^(٢).

ثم ذكر الله سبحانه أنواع الأنعام فقال ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمُعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى، ومن الإبل والبقر كذلك، كما في قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

وقوله تعالى ﴿الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ إنكار من الله تعالى على أولئك المشركين الذين حرموا

(١) لسان العرب (مادة فرش).

(٢) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٥٩.

بعض هذه الأنعام في بعض الحالات ونسبوا هذا التحريم إلى الله تعالى.

المعنى هل حرم الله سبحانه وتعالى الذكور من هذا الأنعام أم حرم الإناث أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الإناث وهي لا تشتمل إلا على ذكور أو إناث؟!

فإن كان الله سبحانه قد حرم الذكور من هذه الأنعام فلم أحللتهم بعضها وحرمتهم البعض الآخر؟ وإذا كان قد حرم الإناث فلم حرمتهم البعض وأحللتهم البعض الآخر؟.

وإذا كنتم قد حرمتهم بعضها لاعتبارات أخرى فإن الله تعالى لم يشرع تحريمها لهذه الاعتبارات فلم نسبتم التحريم إليه؟.

١٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ١٤٥].

١ - قال الإمام البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان [١٢١]

قال عمرو قلت لجابر بن زيد: يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن الحمر الأهلية فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفاري عندنا بالبصرة ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس وقرأ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾^(١).

وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: قلت لأبي الشعثاء: إنهم يقولون إن النبي ﷺ أمرهم أن يكفؤوا

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب ٢٨ حديث ٥٥٢٩.

القدور من لحوم الحمر ... ثم ذكر مثل حديث الإمام البخاري^(١).

وأبو الشعثاء هو جابر بن زيد.

وأخرجه أبو داود السجستاني من طريق عمرو بن دينار وذكر

نحو رواية الإمام البخاري^(٢).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق عمرو بن دينار عن جابر

ابن زيد وذكر مثله إلا أنه زاد في آخره «وقد كان أهل الجاهلية يتركون

أشياء تقدرًا فأنزل الله عز وجل في كتابه وبين حلاله وحرامه فما أحل

فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا هذه

الآية ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ

مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾.

قال أبو عبد الله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب المناسك، باب الحمار الأهلي، ٤ / ٥٢٥ رقم ٨٧٢٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في لحوم الحمر الأهلية حديث رقم ٣٨٠٨.

يخرجاه» ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه البيهقي عن أبي عبد الله الحاكم بإسناده هذا وذكر مثله^(٢).

وأخرجه الحاكم في موضع آخر من المستدرک من طريق عمرو ابن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية ... وذكر بقية الأثر مثله.

وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي^(٣).

٢- وأخرج عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن جوير عن [١٢٢]

الضحاك قال: تلا ابن عباس هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ الآية فقال: ما خلا هذا فهو حلال^(٤).

(١) المستدرک ٢ / ٣١٧، كتاب التفسير.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية ٩ / ٣٣٠.

(٣) المستدرک، كتاب الأطعمة ٤ / ١١٥.

(٤) مصنف عبد الرزاق ٤ / ٥٢٧.

بيان الإسناد:

١- جعفر بن سليمان هو أبو سليمان الضبعي البصري وهو صدوق زاهد لكنه كان يتشيع، من الطبقة الثامنة^(١).

٢- جوير بن سعيد الأزدي أبو القاسم البلخي، راوي التفسير، ضعيف جداً، من الطبقة الخامسة^(٢).

٣- الضحاك هو ابن مزاحم الهلالي وهو صدوق كثير الإرسال تقدمت ترجمته^(٣). وهذا الإسناد فيه انقطاع حيث لم يسمع الضحاك من ابن عباس، كما أن فيه جوير الأزدي وهو ضعيف جداً، ولكنه يتقوى برواية الإمام البخاري السابقة فيصبح حسناً لغيره.

٣- أخرج عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عمن حدثه أن ابن [١٢٣] عباس سئل عن لحوم الحمر الأهلية فقال: إنما نهى رسول الله ﷺ عنها

(١) التقريب ١ / ١٣١ رقم ٨٣، الكاشف ١ / ٥ رقم ٨٠١.

(٢) التقريب ١ / ١٣٦ رقم ١٣١، الخلاصة / ٦٦.

(٣) انظر الحديث رقم (٤).

يوم خيبر لأنها كانت هي الحمولة ثم تلا ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية^(١).

بيان الإسناد:

معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت، تقدمت ترجمته.

وأيوب هو السخثياني وهو ثقة ثبت حجة، تقدمت ترجمته.

وهذا الإسناد متصل إلى أيوب السخثياني حيث قد سمع رواته بعضهم من بعض^(٢) ولكنه منقطع بينه وبين ابن عباس حيث لم يذكر الواسطة بينهما فيكون الإسناد على هذا ضعيفاً.

٤ - قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سهاك عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة يعني الشاة - فقال: فلو لا أخذتم مسكها! فقالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ: إنها قال

(١) مصنف عبد الرزاق / ٤ / ٥٢٥ رقم ٨٧٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب / ١٠ / ٢٤٣ رقم ٤٣٩.

الله عز وجل ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ فإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه تتفعوا به، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته فأخذت منه قربة حتى تخرقت عندها^(١).

بيان الإسناد:

١- عفان هو ابن مسلم الباهلي أبو عثمان الصفار البصري وهو ثقة ثبت قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحيث تركه، وربما وهم، وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة - يعني ومائتين - ومات بعدها بيسير، من كبار الطبقة العاشرة، أخرج له الجماعة^(٢).

٢- أبو عوانة هو وضّاح بن عبد الله الشكري الواسطي البزاز، وهو ثقة ثبت، من الطبقة السابعة، مات سنة خمس أو ست وسبعين

(١) مسند الإمام أحمد ١ / ٣٢٧.

(٢) التقريب ٢ / ٥ / ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٧٩، الخلاصة ٢٦٨.

ومائة، أخرج له الجماعة^(١).

٣- سماك هو ابن حرب وهو صدوق إلا أن في روايته عن عكرمة اضطراباً كما تقدم.

٤- عكرمة ثقة ثبت، تقدمت ترجمته .

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(٢). إلا أن فيه سماك بن حرب في روايته عن عكرمة اضطراب لكن أخرجه الإمام البخاري مختصراً من طريق الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس^(٣).

وكذلك أخرج الإمام البخاري وأحمد من حديث الزهري أن عبيد الله بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال: هلا استمتعتم بإهابها؟ قالوا: إنها

(١) التقريب ٢ / ٣٣١ رقم ٣٣، الخلاصة / ٤٢٠، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ١١ / ١١٦ رقم ٢٠٤، ٧ / ٢٣٠ رقم ٤٢٣.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب ٢١ حديث رقم ٦٦٨٦.

ميتة، قال: إنما حرم أكلها^(١).

٥- قال الإمام الدارقطني: حدثنا محمد بن مخلد أخبرنا العباس [١٢٤]

ابن محمد بن حاتم حدثنا شَبَابَةُ بن سوار أخبرنا أبو بكر الهذلي وأخبرنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول حدثنا جدي أخبرنا عمار بن سلام أبو محمد أخبرنا زافر عن أبي بكر الهذلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ قال: الطاعم الآكل، فأما السن والقرن والعظم والصفوف والشعر والوبر والعصب فلا بأس به لأنه يغسل.

قال الدارقطني: أبو بكر الهذلي ضعيف^(٢).

وأخرجه من طريق آخر عن زافر بن سليمان عن أبي بكر الهذلي أن الزهري حدثهم عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال:

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب جلود الميتة حديث رقم ٥٥٣١.

(٢) سنن الدارقطني ١ / ٤٦ رقم ١٨، كتاب الطهارة، باب الدباغ.

سمعت رسول الله ﷺ .. وذكر نحوه، ثم قال الدارقطني: أبو بكر الهذلي متروك^(١).

وقال عنه الحافظ ابن حجر في التهذيب: اسمه سلمى بضم المهملة - بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح، وهو ابن بنت حميد ابن عبد الرحمن الحميري، وذكر اختلاف الأئمة في الحكم عليه فبعضهم ضعفه وبعضهم تركه ولكن أكثر الأئمة المعتبرين تركوا حديثه وقال عنه في التقريب: أخباري متروك الحديث، من الطبقة السادسة^(٢). وكذلك ذكره الإمام الذهبي من المتروكين^(٣) وقال في موضع آخر: مجمع على ضعفه^(٤).

وبناء على هذا فالحديث مردود ولا يعتبر به.

(١) سنن الدارقطني ١ / ٤٨ رقم ٢٣، كتاب الطهارة، باب الدباغ.

(٢) تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٥، تقريب التهذيب ٢ / ٤٠١.

(٣) المغني في الضعفاء رقم ٧٣٣٩.

(٤) ديوان الضعفاء والمتروكين رقم ٤٨٧٣.

بيان المعنى :

بعد أن ذكر الله سبحانه ما حرمة المشركون من الأنعام ونسبوه إلى الله جل وعلا جهلاً منهم وعدواناً بين سبحانه الأنواع التي حرّمها من هذه الأنعام بقوله ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ أي قل لهؤلاء المشركين لا أجد فيما أوحى الله إلي من المحرمات غير الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله فبأي دليل حرمت ما حرّمتموه منها مما لم يحرّمه الله ونسبتم تحريمه إلى الله تعالى؟

وقوله ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ يعني فمن أُلجأته الضرورة إلى الأكل مما ذكر من المحرمات بأن أشرفت نفسه على الهلاك من الجوع ولم يجد غيرها فأكل منها ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ غير طالب ولا راغب في شيء مما ذكر لذاته ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ مجاوز الحد الذي يسد به رمقه ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ ﴾ سائر عليه ذنبه هذا ﴿ رَحِيمٌ ﴾ به حيث لم يؤاخذ به ما ارتكبه حال الضرورة للإبقاء على نفسه.

وقوله في الحديث الأول «يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن
الحمر الأهلية» لم يبين في روايات هذا الحديث هؤلاء الذين يزعمون
ذلك، وقد أخرج الإمام البخاري خبر نهى النبي ﷺ عن لحم الحمر
الأهلية عن عدد من الصحابة منهم جابر بن عبد الله وعلي وابن عمر
والبراء وابن أبي أوفى رضي الله عنهم^(١).

وعمر بن دينار لا يقصد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وإنما
يقصد بعض العلماء الذين رَووا ذلك عن الصحابة.

قوله «ولكن أبي ذلك البحر ابن عباس الخ أي امتنع ابن عباس
من تحريم لحوم الحمر الأهلية واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا
أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾» يعني
فما عدا هذه المحرمات فهو حلال. وهذا هو ما جاء مصرحاً به في
رواية عبد الرزاق حيث قال ابن عباس بعد ما تلا هذه الآية: «ما خلا
هذا فهو حلال».

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٧ و ٢٨.

وفي الحديث الثالث تبين لنا رأي ابن عباس في نهى النبي ﷺ عن أكل لحم الحمر الأهلية يوم خيبر حيث علل ذلك ابن عباس بكونها كانت هي حمولة الناس فنهى عنها رسول الله ﷺ لكيلا تفنى حمولتهم لا لأنها محرم أكلها.

ولكن هذا الحديث ضعيف لانقطاع سنده.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على توقفه في الحكم على لحوم الحمر الأهلية، فقد أخرج الإمام البخاري من حديث الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا أدري أنهى عنه رسول الله ﷺ من أجل أنه كان حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم أو حرمة يوم خيبر .. لحم الحمر الأهلية»^(١).

فهذا يدل على أن ابن عباس يشك في مبعث هذا النهي هل هو لأنها محرمة لذاتها فيكون التحريم على التأييد أم أنه نهى عنها مراعاة لحالة خاصة وهي حاجة الناس إليها للركوب فيكون التحريم مقيداً

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب رقم ٣٨ حديث رقم ٤٢٢٧.

بتلك الحالة.

وهذا الحديث صحيح فيقدم على حديث عبد الرزاق السابق الذي فيه القطع من ابن عباس بأن علة التحريم هي كون الحمر الأهلية حمولة الناس.

وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم لحوم الحمر وبعضها صريح في تحريمها من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من طريق ابن شهاب الزهري أن أبا إدريس أخبره أن أبا ثعلبة قال «حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية»^(١).

ومنها ما ذكرت فيه علة التحريم وهو كونها رجساً ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ «أن رسول الله ﷺ جاءه جاءً فقال: أكلت الحمر، ثم جاءه جاءً فقال: أفنيت الحمر، فأمر منادياً فنادى في الناس أن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٨ حديث رقم ٥٥٢٧.

الأهلية فإنها رجس، فأكفئت القدور وأنها لتفور باللحم»^(١).

والظاهر أن ابن عباس لم يطلع على هذه العلة للتحريم وهي كونها رجسًا لأنه تردد كما في الحديث السابق في معرفة علة النهي عنها يوم خيبر.

والذي يتلخص لنا من هذا البحث أن ابن عباس روي عنه إباحة لحوم الحمر الأهلية لكونها لا تدخل في المحرمات المذكورة في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية وروي عنه أيضًا أنه توقف في الحكم عليها لتوقفه في معرفة علة النهي عنها يوم خيبر، وبهذا لا نستطيع أن نجزم بأن ابن عباس أباح لحوم الحمر الأهلية وإنما نقول إنه توقف في الحكم عليها لأنه لم يبلغه تحريمها عن النبي ﷺ بشكل قاطع فاستدل على إباحتها بعموم النفي في الآية.

وما دام أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه حرّمها وبين أنها رجس فلا شك بعد هذا في تحريمها.

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٨ حديث رقم ٥٥٢٨.

وقد أجاب العلماء عن هذه الآية بأنها مكية وخبر تحريم لحوم الحمر الأهلية في العام السابع من الهجرة يوم خيبر، وبأن ما في هذه الآية خبر عن الحكم الموجود عند نزولها فإنه حينئذ لم يكن نزل في تحريم المأكول إلا ما ذكر فيها وليس فيها ما يمنع أن ينزل بعد ذلك غير ما فيها وقد نزل بعدها في المدينة أحكام بتحريم أشياء غير ما ذكر فيها كالخمر في آية المائدة وتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

وأجيب عن هذه الآية أيضًا بأنها خاصة ببهيمة الأنعام لأنه تقدم قبلها الخبر عن الجاهلية بأنهم كانوا يجرمون أشياء من الأزواج الثمانية بآرائهم فنزلت الآية ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ أي من المذكورات إلا الميتة منها والدم المسفوح، ويرد على هذا الجواب كون لحم الخنزير ذكر معها وليس من الأزواج الثمانية المذكورة في الآيات. وقد أجيب عن ذلك بأن لحم الخنزير قرنت به علة تحريمه وهي

كونه رجسًا^(١).

أما ما يفهم من الأحاديث السابقة من أن ابن عباس يرى إباحة ما عدا ما ذكر في هذه الآية فلعل ذلك كان في أول الأمر ثم رجع بعد ما اطلع على نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير»^(٢).

فهذه الرواية تدل على أن ابن عباس يرى تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، إذا لا يتصور أن يروي نهى النبي ﷺ عن ذلك ثم يرى إباحتها.

وقوله في الحديث الرابع «فلولا أخذتم مسكها!» المسك - بضع

(١) فتح الباري ٩ / ٦٥٥، ٦٥٧، أحكام القرآن للجصاص ٣ / ١٦، تفسير القرطبي ٧ / ١١٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب ٣ حديث ١٦.

الميم وسكون السين – هو الجلد^(١).

وفي هذا دليل على جواز الانتفاع بجلد الميتة بعد دبغه.

أما الحديث الخامس الذي أخرجه الإمام الدارقطني ففيه إباحة استعمال السن والقرن والعظم والصوف والشعر والوبر والعصب؛ لأنه يغسل، ولكن هذا الحديث مردود لأنه فيه راو متروك كما سبق فلا يؤخذ بما دل عليه.

(١) فتح الباري ٩ / ٦٥٩.

١٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام / ١٤٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُلَّ [١٢٥]

ذِي ظُفْرٍ﴾ البعير والنعامة ﴿الْحَوَايَا﴾ المبعر^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله تعالى: ﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ قال: وهو البعير والنعامة^(٢) وكذلك

أخرجه البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٣).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال:

البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم ٦.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٧٢، وقد سبق هذا الإسناد في رقم (٢) وتبين لنا أنه حسن.

(٣) سنن البيهقي ١٠ / ٨، كتاب الضحايا باب ما حرم على بني إسرائيل.

(٤) تفسير الطبري ٨ / ٧٣، وهذا إسناد ضعيف كما تقدم بيانه في الحديث رقم (٣٥).

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كُلَّ ذِي ظُفْرٍ^ط» هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع منها الإبل والنعام. ذكره ابن حجر وقال: إسناده حسن^(١).

بيان المعنى:

من هذه الروايات تبين لنا أن ابن عباس يرى أن المراد بقوله تعالى «كُلَّ ذِي ظُفْرٍ^ط» ما كانت أصابع رجله ويديه ملتحمة وليست متعرجة كالإبل والنعام وذكر هذين النوعين من باب التمثيل بأهم ما يطلق عليه اللفظ ويدخل في ذلك كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالبط.

وقد أخرج ابن جرير في ذلك عن قتادة قال: «كُلَّ ذِي ظُفْرٍ^ط» الإبل والنعام ظفر يد البعير ورجله وظفر رجل النعام أيضاً كذلك وحرم عليهم أيضاً من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق

(١) فتح الباري ٨ / ٢٩٥.

الأصابع^(١).

وقول «الحوايا - المبعر» أخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي

بن أبي طلحة عن ابن عباس قال «أَوِ الْحَوَايَا» وهي المبعر^(٢).

والمراد بالمبعر هنا ما يتكون فيه البعر وهي الأمعاء. وقوله «أَوِ

الْحَوَايَا» معطوف على قوله «ظُهُورُهُمَا» فمعنى الآية على هذا:

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كالإبل والنعام، ومن البقر

والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت

أمعائهما أو ما اختلط بعظم.

أما لماذا حرم الله على اليهود بعض الأنعام التي أباحها لغيرهم

فقد بينه تعالى بقوله «ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ» أي عاقبناهم

بذلك التحريم بسبب تعديهم حدود الله وإسرافهم على أنفسهم.

(١) تفسير الطبري ٨ / ٧٣.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٧٥، وهذا الإسناد حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

﴿سورة الأعراف﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَنَ كُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَآتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنِّي أَلَهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

[الأعراف / ٢٦ - ٣٢].

١- قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٢٦]

﴿وَرِيثًا﴾ المال^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الرياش

اللباس والعيش النعيم^(٣).

وابن عباس يقصد باللباس هنا لباس الزينة والجمال لأن اللباس

الضروري لستر العورات ذكر في الآية قبل ذلك في قوله تعالى ﴿لِبَاسًا

يُؤْزَرِي سَوْءَ تَكْمٍ﴾.

وهذا التفسير لا يختلف مع تفسير الريش بالمال في الرواية الأولى

لأن المال هو وسيلة الحصول على لباس الزينة والعيش النعيم.

٢- قال الإمام مسلم حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر [١٢٧]

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة الأعراف.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ١٤٨، وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

(٣) تفسير الطبري ٨ / ١٤٨، وإسناده ضعيف كما تقدم في الحديث رقم (٣٥).

(ح) وحدثني أبو بكر بن نافع - واللفظ له - حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوفاً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف / ٣١]^(١).
وأخرجه النسائي والحاكم وفي رواية الحاكم فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي والطبري من عدة طرق عن ابن عباس^(٢).

(١) صحيح مسلم رقم ٣٠٢٨، كتاب التفسير، باب قوله تعالى {خذوا زينتكم}.
(٢) سنن النسائي ٥ / ٢٣٣ و ٢٣٤ في كتاب الحج، باب قوله عز وجل {خذوا زينتكم عند كل مسجد}؛ المستدرک ٢ / ٣١٩، كتاب التفسير، سورة الأعراف؛ السنن الكبرى ٢ / ٢٢٣، كتاب الصلاة، باب وجوب ستر العورة ٥ / ٨٨؛ كتاب الحج باب لا يطوف بالبيت عريان، تفسير الطبري ٨ / ١٦٠.

٣- قال الإمام الدارقطني: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز [١٢٨]

حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي سميئة حدثنا صالح بن بيان حدثنا
 فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما
 في قوله تعالى ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: الصلاة في النعلين
 وقد صلى رسول الله ﷺ في نعليه فخلعهما فخلع الناس فلما قضى
 الصلاة قال: لم خلعتن نعالكم؟ قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا قال: إن
 جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن فيهما دم حلمة^(١).

بيان الإسناد:

هذا الأثر ساقط لا يقبل ففي إسناده صالح بن بيان الساحلي
 وشيخه فرات بن السائب الجزري وهما متروكان، ومن تركهما
 الدارقطني كما ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، ونقل ابن حجر
 عن العقيلي أنه قال في صالح بن بيان: يحدث بالمناكير عمن لا يحتمل
 والغالب على حديثه الوهم، وقال المستغفري: كان يروي العجائب

(١) سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، باب الصلاة في القوس والقرن ١ / ٣٩٩.

وينفرد بالمنكير^(١). وقال الإمام البخاري في فرات بن السائب: منكر الحديث وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وقال: منكر الحديث وقال النسائي متروك الحديث وقال ابن عدي: له أحاديث غير محفوظة وله عن ميمون منكير^(٢) أقول: ويضاف إلى ذلك كون هذا الأثر خالف الأثر الصحيح السابق فيكون بهذا خبراً منكراً.

بيان المعنى:

من الأثر الثاني تبين لنا أن بعض نساء العرب في الجاهلية كن يطفن بالبيت عرايا، وقد جاء في بعض الروايات ما يبين الدافع إلى هذا السلوك المنحرف فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال: كان حي من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول: من يعيرني مئزراً فإن قدر على ذلك وإلا طاف عرياناً فأنزل الله فيه ما تسمعون

(١) لسان الميزان ٣/ ١٦٦ رقم ٦٧٤.

(٢) لسان الميزان ٤/ ٤٣٠ رقم ١٣١٤.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١).

ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن الزهري أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس - قريشاً وأحلافهم - فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحس، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فإن لم يجد من يعيره من الحمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عرياناً وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراماً عليه فلذلك قال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).

ومن هذه الروايات تبين لنا أن هذه العادة لم تكن من النساء فقط وإنما كانت من النساء والرجال، وإن الدافع لها كان تعظيم البيت والحرم، وذلك باعتبارهم أن الثياب التي عصوا الله بها لا ينبغي لهم أن يطوفوا بها حول البيت، وإذا طافوا بثيابهم حرموا لبسها بعد ذلك على أنفسهم، ويعتبرون أن ثياب أهل مكة طاهرة لمجاورتهم بيت الله

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٦١.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ١٦٩.

فإن وجدوا منها شيئاً طافوا به وإلا طافوا عراة.

ولما كان هذا العمل يترتب عليه معصية كبيرة ومفسدة عظيمة بكشف العورات وانتهاك الحرمات بتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أنزل الله جل وعلا هذه الآيات مبيناً تفضله على عباده حيث أوجد لهم اللباس الذي يسترون به عوراتهم والمال الذي يقيمون به شؤون حياتهم فقال تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا﴾ أي أوجدنا لكم لباساً ضرورياً تسترون به عوراتكم ولباس زينة تتجملون به.

وقوله ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي أن كونكم تتحلون بالعمل الصالح الذي يرضي الله وتبتعدون عن معصيته اتقاء لغضبه وعقابه خير لكم مما ترتكبونه من معصيته فتطوفون بالبيت مثلاً وأنتم عراة توهماً منكم أن في عملكم هذا تعظيماً للحرم.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي ذلك المذكور من نعم الله حيث تفضل على عباده بنعمة اللباس والمتاع وذلك من العلامات الدالة على

ربوبيته ووحدانيته، أوجد هذه النعم لعباده ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١) فيعتبروا بذلك ويلتزموا بطاعته واجتناب معصيته.

ثم ذكر الله سبحانه بني آدم بفتنة الشيطان وبين لهم أنه هو الذي يوسوس لهم بنزع اللباس عند الطواف حتى يوقعهم في معصية الله كما أوقع أباهم آدم وأمهم حواء حينما أغراهما بالأكل من الشجرة ففقدوا بذلك لباسهما الذي حلاهما الله به وستر به عوراتهما حيث قال تعالى ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرْبِهِمَا إِنَّهُ يَرْبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ [الأعراف/ ٢٧] أي هو ونسله وهم الجن «قال ابن منظور: يقال لكل جمع من شيء واحد قبيل»^(٢).

ثم بين سبحانه حجة المشركين الواهية التي يبررون بها ارتكاب ما نهى الله عنه من الفواحش بقوله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ومن الفواحش التي كانوا يرتكبونها

(١) لسان العرب (مادة قبل)، وانظر تفسير الطبري ٨ / ١٥٣.

الفاحشة التي نزلت هذه الآيات فيها وهي طوافهم بالبيت وهم عراة، وحثهم في هذه وغيرها من المحرمات التي كانوا يفعلونها أنهم ورثوها عن الآباء والأجداد، وقد أوحى الشيطان إليهم بأن مخالفة ما عليه الآباء تعتبر جريمة تسقط مرتكبها وتقضي على أمجاده التي وصل إليها، وأعظم من هذا نكارة احتجاجهم على ارتكابهم الفواحش بأن الله أمرهم بها جل وعلا عن ذلك، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي لا يأمر خلقه بارتكاب قبائح الأمور ومساوئها ﴿اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فتنسبون إليه أنه أمركم بالتجرد من الثياب عند الطواف بالبيت وغير ذلك من القبائح؟!!

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل والاستقامة على الطريق المستقيم ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي توجهوا إلى عبادة ربكم وحده ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كل موضع أعد لعبادة الله تعالى ولا توجهوا في عبادتكم إلى الأصنام والأوثان.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾

قال ابن عباس في معنى الآية: «إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً كما قال جل ثناؤه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن/ ٢] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً» أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة^(١).

المعنى: كما بدأ خلقكم متميزين بعضكم على الهدى وبعضكم على الضلال تعودون يوم القيامة متميزين كذلك فريقاً وفقهم الله إلى سلوك الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وفريقاً حق عليهم الضلالة عن هذا الطريق المستقيم فانحازوا إلى الطرق المعوجة الموصلة إلى شقاء الدنيا والآخرة ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي إنما ضلوا عن الطريق المستقيم لأنهم التجؤوا إلى غير الله فاعتمدوا على شياطين الجن والإنس في طلب الهدى والنصر وصرفوا لهم أنواعاً من العبادة لا تجوز إلا لله تعالى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِعَمَلِهِمْ هَذَا مُّهْتَدُونَ﴾ إلى الطريق المستقيم بسبب تزيين الشياطين لهم ما هم

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٥٦، وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

عليه من الاعتقاد الفاسد وإثارة الشبهات حول دعوة الحق.

ثم قال تعالى ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي استروا عوراتكم عند دخول المساجد ولا تخلعوا ثيابكم بحجة أنها قد تدنس كما مضى في سبب النزول. والآية تشمل ما زاد على ستر العورة من ثياب الزينة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي تمتعوا بما أنعم الله عليكم ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله لكم أو بكثرة الإنفاق بطراً وخيلاء.

وفي معنى الآية يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة».

أخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس^(١)،

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٦٢.

وهذا إسناد صحيح ورجاله ثقات قد سمع بعضهم من بعض كما مضى في تراجمهم^(١).

وذكره الإمام البخاري معلقاً عن ابن عباس يلفظ «كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة»^(٢).

ثم قال تعالى منكرًا على هؤلاء الجاهلين الذين حرموا زينة الله على أنفسهم بتحرجهم من لبس ثيابهم وحرموا بعض الطيبات من رزق الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يعني أهذا الذي حرمها جدير بأن يطاع في التحليل والتحريم؟! أم أن الذي أوجدها من العدم وتفضل بها على عباده هو الجدير بذلك؟!.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يشاركون الكفار بالتمتع بها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ للمؤمنين فلا يشاركونهم فيها الكفار، قال ابن عباس: شارك المسلمون الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها

(١) انظر تراجم هؤلاء الرجال في الأحاديث رقم ١٦٧ و ٨ و ١٧ و ٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، الباب الأول. وقوله «مخيلة» بكسر الخاء على وزن عظيمة بمعنى الخيلاء وهو التكبر (فتح الباري ١٠ / ٢٥٣).

ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نساءها، وخلصوا بها يوم القيامة. أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة^(١).
وهذا الإسناد حسن كما تقدم^(٢).

﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي مثل ذلك البيان الذي بينا لكم في الواجب عليكم نحو اللباس والمطاعم والمشارب نبين العلامات الواضحة والدلالات المقنعة لقوم يعلمون ما يبين لهم^(٣).
ثم بين سبحانه الأشياء التي حرمها على عباده بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ فهذه هي التي حرمها الله لا ما نسبته إليه الجاهلون من تحريم بعض اللباس وبعض الطيبات من الرزق.

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٦٤.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

(٣) انظر تفسير الطبري ٨ / ١٦٦.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
[الأعراف / ٥٥].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّهُ لَا [١٢٩] يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء وفي غيره^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ يعني بخشوع وخضوع وتذلل^(٣). ﴿وْخُفْيَةً﴾ يعني لا ترفعوا أصواتكم بالدعاء؛ لأن رفع الصوت بالدعاء يتنافى مع الخشوع، وقد يخالطه شيء من الرياء، إنما يكون الدعاء

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب رقم ٧.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٢٠٧.

(٣) تفسير الألوسي ٨ / ١٣٩.

بين الإسرار والجهر بحيث يسمع الإنسان نفسه كما في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ قال ابن عباس في حديث الباب: في الدعاء وغيره، والاعتداء في الدعاء يكون برفع الصوت كما يدل عليه أول الآية.

وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى عن الحسن البصري قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الأكبر وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول ﴿ادْعُوا

رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴿٣٠﴾، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي فعله فقال ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم / ٣٠].^(١)

وقد روي عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مغفل رضي الله عنهما أن من الاعتداء في الدعاء المبالغة في المطالب التي يطلبها العبد وذلك كما أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمع ابنًا له يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحوًا من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، فقال: لقد سألت الله خيرًا كثيرًا وتعوذت بالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الآية ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وإن حسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

وقد أخرجه الإمام أحمد من طريق أبي نعامة قيس بن عباية عن

(١) تفسير الطبري ٨ / ٢٠٦.

مولى لسعد رضي الله عنه^(١).

وأخرجه الإمام أبو داود من طريق أبي نعامة عن ابن لسعد أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول ... ثم ذكر نحوه^(٢).

وفي هذين الإسنادين رجل مجهول وهو الذي روى عن سعد رضي الله عنه فالحديث على هذا يكون ضعيفاً بهذا الإسناد.

أما ما روي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه فقد أخرجه الإمام ابن [١٣٠] ماجه قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا سعيد الجريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وعُدْ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون قوم يعتدون في الدعاء^(٣).

(١) مسند أحمد ١ / ١٧٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم ١٤٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء رقم ٣٨٦٤.

وإسناد هذا الحديث صحيح^(١).

ومن هذين الحديثين تبين لنا أن المبالغة في الدعاء كتحديد أنواع النعيم في الجنة من الاعتداء في الدعاء وهو مما يشمل النهي عن الاعتداء في الدعاء المذكور في هذه الآية.

(١) بيان هذا الإسناد:

- ١- أبو بكر بن أبي شيبة هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، وهو ثقة حافظ صاحب تصانيف، من الطبقة العاشرة مات سنة خمس وثلاثين ومائتين، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه (التقريب ١ / ٤٤٥ رقم ٥٨٩).
- ٢- عفان هو ابن مسلم الباهلي، وهو ثقة ثبت تقدم في الحديث رقم (١٣٧).
- ٣- وحماد بن سلمة ثقة تقدم في الحديث رقم (١٠١).
- ٤- وسعيد الجريري هو أبو مسعود سعيد بن إياس الجريري البصري وهو ثقة، من الطبقة الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث سنين مات سنة أربع وأربعين، وقد أخرج له الجماعة (التقريب ١ / ٢٩١ رقم ١٢٧).
- ٥- أبو نعامه هو قيس بن عباية، وهو ثقة من الطبقة الثالثة مات بعد سنة عشر ومائة، أخرج له البخاري في جزء القراءة والأربعة. (التقريب ٢ / ١٢٩ رقم ١٥٣).
- وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر التهذيب ٧ / ٢٣٠ رقم ٤٢٣، ٤ / ٥ رقم ٨، ٨ / ٤٠٠ رقم ٧١٢).

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

[الأعراف / ٨٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما الفتح [١٣١]

القاضي «أَفْتَحْ بَيْنَنَا» اقض بيننا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله: «رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ» يقول: اقض بيننا وبين

قومنا^(٢).

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق قتادة عن ابن عباس قال: ما

كنت أدري ما قوله «رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ» حتى سمعت

ابنة ذي يزن تقول: تعالي أفتحك يعني: أقاضيك^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف.

(٢) تفسير الطبري ٩ / ٢.

(٣) تفسير الطبري ٩ / ٢.

وقال الجوهري: الفتاحة بالضم الحكم، والفتاحة أن تحكم بين خصمين، وقيل الفتاحة الحكومة، قال الأشعر الجعفي:

ألا من مبلغ عمرًا رسولاً فإني عن فتاحتكم غني

وقال الأزهري: الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١).

(١) لسان العرب (مادة فتح).

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/

١٣٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مُتَبَّرٌ» [١٣٢]

خسران^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

والإشارة في الآية تعود إلى المذكورين في قوله تعالى قبل هذه

الآية ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ

لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

[الأعراف/ ١٣٨].

فمعنى الآية: إن معتقد هؤلاء اليهود الذين يميلون إلى تقليد

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف.

(٢) تفسير الطبري ٩ / ٤٦.

الوثنيين في عبادة غير الله تعالى ويسألون رسولهم أن يمكنهم من هذا
الشرك خسران ووبال عليهم وسعيهم للوصول إلى هذا الهدف باطل
لا خير فيه.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ^١﴾

[الأعراف / ١٤٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أَرِنِي» [١٣٣]

أعطني^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

وقوله: «أَرِنِي» أعطني يعني أعطني قدرة تمكنني من النظر

إليك، وإنما فسرهما ابن عباس بذلك لأن الرؤية هي النظر، والمطلوب

هو القدرة على النظر.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب رقم ٢.

(٢) تفسير الطبري ٩ / ٥٠.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ، أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ^طفَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف/ ١٦٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٣٤] ﴿انْبَجَسَتْ﴾ انفجرت^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة كذلك^(٢).

وقال أبو عبيدة: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ أي انفجرت^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٥.

(٢) فتح الباري ٦ / ٤٣٠.

(٣) مجاز القرآن ١ / ٢٣٠.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف / ١٧١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ﴾ رفعنا^(١). [١٣٥]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ قال: فهو كقوله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقِهِمْ﴾ [النساء / ١٥٤] فقال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ وإلا أرسلته عليكم^(٢).

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال: فقال لهم موسى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يقول: من العمل بالكتاب وإلا خسر عليكم الجبل، فقالت بل نأخذ ما آتانا الله بقوة، ثم نكتوا بعد ذلك^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب رقم ٢٥.

(٢) تفسير الطبري ٩ / ١٠٩.

(٣) تفسير الطبري ٩ / ١٠٨.

وقال أبو عبيدة والفراء: أي رفعنا فوقهم^(١)، وقال ابن منظور:
 التَّقُّ الزَّعْزَعَةُ والهزُّ والجذب والنفْضُ، ونَتَقَ الشيءَ، يَنْتَقُهُ وَيَنْتُقُهُ
 بِالضَّمِّ نَتَقًا جَذَبَهُ وَاقْتَلَعَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَإِذْ نَنْقُتُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي
 زَعَزَعْنَاهُ وَرَفَعْنَاهُ^(٢).

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٣٢، معاني القرآن للفراء ١ / ٣٩٩.

(٢) لسان العرب (مادة نتق).

﴿سورة الأنفال﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال / ١].

١ - قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٣٦]

﴿الْأَنْفَالِ﴾ المغنم^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

٢ - قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا وهب بن بقية قال [١٣٧]

أخبرنا خالد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله

ﷺ يوم بدر «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» قال: فتقدم

الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قالت

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنفال.

(٢) تفسير الطبري ٩ / ١٧٥.

المشيخة: كنا ردءًا لكم لو انهزمت لفتتم إلينا فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ يقول فكان ذلك خيرًا لهم فكَذلك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم^(١).

بيان الإسناد:

١ - وهب بن بقية هو أبو محمد وهب بن بقية بن عثمان الواسطي ويقال له وهبان، وهو ثقة من الطبقة العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين روى له مسلم وأبو داود والنسائي^(٢).

٢ - خالد هو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي المزني ولأء، وهو ثقة ثبت من الطبقة الثامنة مات سنة اثنتين

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في النفل رقم ٢٧٣٧.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٣٣٧، الكاشف ٣ / ٢٤٣، الخلاصة ٤١٨.

وثمانين ومائة، روى له الجماعة^(١).

٣- داود هو ابن أبي هند البصري القشيري ولأء، وهو ثقة متقن كان يهم بأخرة، كما تقدم.

٤- عكرمة هو مولى ابن عباس وهو ثقة كما تقدم.

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض^(٢). فإسناده متصل ورجاله ثقات، وعلى هذا فهذا الإسناد صحيح.

وهذا الحديث أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في سننه وابن حبان في صحيحه^(٣).

بيان المعنى:

قوله «الأنفال المغانم» الأنفال جمع نفل وهو العطاء تفضلاً

(١) تقريب التهذيب ١/ ٢١٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩، الخلاصة ١٠١.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ١٥٩ رقم ٢٧٠، ٣/ ١٨٧ رقم ١٨٧ و ٢٠٤ رقم ٣٨٨.

(٣) المستدرک ٢/ ٣٢٦ كتاب التفسير، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٢٩١، ٣١٥ كتاب قسم الفيء، باب مصرف الغنينة وباب الوجه الثالث من النفل، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب التفسير، سورة الأنفال، حديث رقم ١٧٤٣.

وتكرماً، قال الراغب: وأصل ذلك من النفل أي الزيادة على الواجب ويقال له النافلة قال تعالى ﴿وَمِنْ أَلْيَلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً﴾ [الإسراء / ٧٩] ويقال نفله السلطان أعطاه سلب قتيله نفلاً أي تفضلاً وتبرعاً^(١).

وقال أبو عبيدة في كتاب الأموال: فالأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة، ومعنى الأنفال في كلام العرب كل إحسان فعله فاعله تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه فكذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم إنما هو شيء خصهم الله به تطولاً منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله عز وجل هذه الأمة... ثم قال - بعد أن ذكر أحاديث في خصوصية هذه الأمة بإباحة الغنائم -: فنفل الله هذه الأمة المغنم خصوصية خصهم بها دون سائر الأمم، فهذا أصل النفل وبه سمى ما جعله الإمام للمقاتلة نفلاً

(١) المفردات في غريب القرآن / ٥٠٢.

وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو^(١).

وقوله في الحديث الثاني «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» جاء في رواية الحاكم «أو أتى مكان كذا وكذا» وهذا من باب التحريض على القتال ومن ذلك قوله ﷺ «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» أخرجه الإمام البخاري^(٢).

وقوله «فتقدم الفتیان ولزم المشيخة الرايات» ليس مرتباً على قوله «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» حيث إن تقدم الفتیان كان بدافع الرغبة في الجهاد لا بدافع الرغبة في المغنم وإنما هو من باب الإخبار عما جرى في المعركة، فالشباب تقدموا لأنهم أكثر اندفاعاً في القتال والشيخوخ لزموا الرايات فقاتلوا تحتها لأنهم أكثر خبرة في الحروب فخافوا أن يكون للعدو كرة على مركز القيادة.

(١) الأموال / ٤٢٨ - ٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب رقم ١٨ حديث رقم ٣١٤٢.

والذي يفهم من هذا الأثر أن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم كان فيما وعد به النبي ﷺ تحريضاً على القتال، وهذا يخالف الروايات الأخرى التي فيها أن الاختلاف كان في الغنيمة التي حازها المسلمون جميعاً في المعركة، فمن ذلك ما جاء في الأثر الأول الذي أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس حيث فسر الأنفال بالغنائم، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا

ذَاتَ يَنِّكُمْ^١ ﴿ فقسّمها رسول الله ﷺ عن فواق بين المسلمين^(١).

وقوله «عن فواق» أي قسمها في قدر فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح^(٢).

والمراد بذلك أنه قسمها بسرعة.

وأخرجه الحاكم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وذكر نحوه وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي^(٣).

وما جاء في هذه الروايات من أن الأنفال التي اختلف فيها الصحابة وسألوا عنها رسول الله ﷺ هي الغنائم هو الظاهر، إذ لا ينبغي أن يصدر من الصحابة رضي الله عنهم اختلاف فيما وعد به النبي ﷺ تحريضاً على القتال.

(١) مسند أحمد ٥ / ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٤٧٩.

(٣) المستدرک ٢ / ٣٢٦، كتاب التفسير.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[الأنفال / ٢٢].

قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن [١٣٨]

ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار^(١).

بيان المعنى:

قوله «هم نفر من بني عبد الدار» أي نزلت هذه الآية في نفر من بني عبد الدار كان عداؤهم للإسلام شديداً، وقد جاء في رواية الإسماعيلي لصحيح البخاري «نزلت في نفر من بني عبد الدار» كما ذكر ابن حجر^(٢).

وأخرجه ابن جرير من طريق شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {إن شر الدواب عند الله}، حديث رقم ٤٦٤٦.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٠٧.

عن مجاهد قال قال ابن عباس «الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بني عبد الدار لا يتبعون الحق»^(١).

والآية تشمل كل من أصر على اتباع الباطل بعد ما تبين له الحق وأظهر العناد وعدم الاستعداد لمعرفة الحق واتباعه.

(١) تفسير الطبري ٩ / ٢١٢.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرْصُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^{٦٥} وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ^{٦٥} أَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^{٦٦} وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال / ٦٥ - ٦٦].

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا [١٣٩]

عبد الله بن المبارك أخبرنا جرير بن حازم قال أخبرني الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^{٦٥}﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرَّ واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال ﴿أَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^{٦٦}﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من

الصبر بقدر ما خفف عنهم^(١).

وأخرجه أبو داود السجستاني من طريق جرير بن حازم بهذا
الإسناد وذكر مثله^(٢).

وأخرجه البيهقي من طريقين عن جرير بن حازم بهذا الإسناد
وذكر مثله^(٣).

وأخرجه الإمام البخاري أيضًا من طريق عمرو بن دينار عن
ابن عباس وذكر نحوه^(٤).

وأخرجه من هذا الطريق ابن الجارود والبيهقي وذكر مثله^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {الآن خفف الله عنكم} رقم ٧، حديث رقم
٤٦٥٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب التولي يوم الزحف، حديث رقم ٢٦٤٦.

(٣) سنن البيهقي ٩ / ٧٦، كتاب السير، باب تحريم الفرار يوم الزحف.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنفال حديث رقم ٤٦٥٢.

(٥) المنتقى لابن الجارود، كتاب الجهاد، باب العدد الذي لا يخرج المرء بالفرار منهم. حديث
رقم ١٠٤٩؛ سنن البيهقي ٩ / ٧٦، كتاب السير، باب تحريم الفرار يوم الزحف.

وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه وفيه: فإن لقي رجل رجلين ففر
أو رجلاً ففر فهي كبيرة وإن لقي ثلاثة ففر منهم فلا بأس^(١).

وأخرج البيهقي هذه الزيادة بمعناها من طريق ابن أبي نجيح
عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢).

بيان المعنى:

قوله «شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد
من عشرة» في هذا تصريح بأن ثبات الواحد من المسلمين أمام العشرة
من الكفار كان فرضاً واجباً في أول الأمر، ولعل ابن عباس فهم ذلك
من قوله تعالى ﴿أَلَتْنَا حَقَّ اللَّهِ عَنْكُمْ﴾ إذا أن التخفيف لا يكون إلا
من أمر كان ثقیلاً والأمر المندوب لا يكون ثقیلاً إذ ليس بلازم على
الإنسان أدائه، وعلى هذا فقوله تعالى ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وإن كان خبراً فإن معناه الأمر وقد بين هذا المعنى ابن

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجهاد، باب الفرار من الزحف (٥/ ٢٥٢ رقم ٩٥٢٥).

(٢) السنن الكبرى، كتاب السير، باب تحريم الفرار من الزحف ٩/ ٧٦.

جرير الطبري في تفسيره^(١).

قوله «فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر» قال ابن حجر: كذا في رواية ابن المبارك وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي «نقص من النصر» وهذا قاله ابن عباس توقيفاً على ما يظهر ويحتمل أن يكون قاله بطريق الاستقراء أهـ^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٠ / ٤١.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣١٣.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا
 مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ أُسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ
 فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال / ٧٢].

قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ
 مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال / ٧٥].

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد حدثنا علي [١٤٠]

ابن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس: في

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا .. ﴾ وقوله ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ

يُهَاجِرُوا .. ﴾ قال: فكان الأعرابي لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر،

فنسختها هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١).

بيان الإسناد:

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه علي بن حسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم^(٢)، فهو على هذا محتمل للضعف ولكن أخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ يعني في الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ يقول: ما لكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في كِتَابِ

(١) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم (حديث رقم

٢٩٢٤).

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

الله ﷻ في الميراث، فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الأرحام^(١).
وبهذا الشاهد يرتفع احتمال الوهم من علي بن حسين واقد
ويكون الحديث حسن الإسناد، وباعتضاده برواية علي بن أبي طلحة
يكون صحيحاً لغيره.

بيان المعنى:

في هذا الأثر بيان ما كان عليه الأمر في أول الإسلام من التوارث
بالأخوة الإيمانية حيث كان المهاجرون يتوارثون فيما بينهم دون
الأعراب، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ
فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ﴾ [الأنفال / ٧٥] بعد ما زالت دواعي الحكم السابق،
وقد تقدم بيان ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ
فَعَاثُوهُمْ نَصِيبُهُمْ ﷻ﴾. [النساء / ٣٣].

(١) تفسير الطبري ١٠ / ٥١.

﴿سورة التوبة﴾

١ - ما جاء في تسمية هذه السورة بالفاضحة

قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد [١٤١] ابن سليمان حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم - ومنهم - ومنهم) حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير^(١).

وأخرجه الإمام مسلم من طريق هشيم به وذكر نحوه^(٢).

بيان المعنى:

قوله (التوبة هي الفاضحة) يعني التي فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحشر، حديث رقم ٤٨٨٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التفسير، الباب الخامس، حديث رقم ٣٠٣١.

قوله «ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم ومنهم» يعني من المنافقين
 مثل قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
 وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة/ ٧٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي
 الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾
 [التوبة/ ٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ
 خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
 وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة/ ٦١]

قوله «حتى ظنوا أنها لم تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها» يعني
 المنافقين، وقوله «لم تبقى» يعني أنهم ظنوا أن ما نزل في وقت التنزيل قد
 استوعبهم، وجاء في رواية الكشميهني «لن تبقي» وفي رواية
 الإسماعيلي «أنه لا يبقى»^(١) ومقتضى هاتين الروايتين أن المنافقين كانوا
 يظنون أنه سينزل مزيد من الآيات التي تكشف سرائرهم حتى لا
 تبقي منهم أحداً إلا وقد افترض أمره، وهذا أبلغ في تصوير مدى

(١) فتح الباري ٨ / ٦٢٩.

خوف المنافقين من نزول القرآن في كشف أمرهم.

وقوله «سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر» يعني في شأن غزوة

بدر حيث نزل فيها آيات من هذه السورة.

وقوله في سورة الحشر «نزلت في بني النضير» هم طائفة من

اليهود مشهورة أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة فنزلت سورة الحشر في

بيان خبرهم.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة / ٣٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٤٢]

﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشبهون^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشبهون أي يشابه هؤلاء اليهود بزعمهم أن عزيرًا ابن الله، وهؤلاء النصارى بزعمهم أن المسيح ابن الله قول الذين كفروا من قبلهم من أهل الأوثان الذين نسبوا الولد لله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، باب رقم ١.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ١١٢.

جل وعلا عن ذلك، كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان^(١).

(١) تفسير الطبري ١٠ / ١١٣.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة/ ٣٤ - ٣٥].

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا [١٤٣]

يحيى بن يعلى المحاربي حدثنا أبي حدثنا غيلان عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرج عنكم فانطلق فقال: يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله ﷺ «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لمن بعدكم» فكبر عمر، ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته،

وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»^(١).

بيان الإسناد:

١- عثمان بن أبي شيبة هو أبو الحسن عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ثقة حافظ شهير وله أوهام من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وثمانون سنة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(٢).

٢- يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي الكوفي، ثقة من صغار الطبقة التاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(٣).

٣- وأبوه هو يعلى بن الحارث بن حرب المحاربي الكوفي، ثقة من الطبقة الثامنة مات سنة ثمان وستين ومائة، روى له البخاري

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، حديث رقم ١٦٦٤.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ١٣ رقم ١٠٧، الخلاصة / ٢٦٢؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٤٤٤ رقم ٤٥٠.

(٣) التقريب ٢ / ٣٦٠ رقم ٢٠٦، الكاشف ٣ / ٢٧٢، الخلاصة / ٤٢٩.

ومسلم والنسائي وابن ماجه^(١).

٤ - غيلان هو أبو عبد الله غيلان بن جامع بن أشعث البخاري قاضي الكوفة، ثقة من الطبقة السادسة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(٢).

٥ - جعفر بن إياس أبو بشر بن أبي وحشية قال ابن حجر ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد، من الطبقة الخامسة مات سنة خمس وقيل سنة ست وعشرين ومائة^(٣).

وقال ابن حجر في التهذيب: قال أحمد: وكان شعبة يقول: لم يسمع أبو بشر من حبيب بن سالم.

وقال أيضًا كان شعبة يضعف حديث أبي بشر عن مجاهد قال: لم

(١) التقريب ٢ / ٣٧٧ رقم ٤٠٢، الكاشف ٣ / ٢٩٥، الخلاصة ٤٢٧.

(٢) التقريب ٢ / ١٠٦ رقم ٢٦، الكاشف ٢ / ٣٧٧، الخلاصة ٣٠٧.

(٣) التقريب ١ / ١٢٩ رقم ٧٠، الخلاصة ٦٢.

يسمع منه شيئاً، وقال ابن معين: طعن عليه شعبة في حديثه عن مجاهد قال: من صحيفة^(١).

وبهذا تبين أن سبب تضعيفه في مجاهد كان عدم سماعه منه وإنما أخذ مروياته عنه من صحيفة.

فهذا الإسناد متصل إلى جعفر بن إياس لأن رواته قد سمع بعضهم من بعض^(٢) لكن لم يسمع جعفر من مجاهد.
٦ - ومجاهد ثقة تقدمت ترجمته^(٣).

فالإسناد على هذا ضعيف لانقطاعه إن كان جعفر بن إياس لم يسمع من مجاهد كما ذكر شعبة، ولكن لهذا الحديث شواهد ذكرها الحافظ ابن كثير^(٤) تشهد لبعضه، منها ما أخرجه عبد الرزاق قال:

(١) التهذيب ٢ / ٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ١٤٩ رقم ٢٩٨، ١١ / ٣٠٣ رقم ٥٨٥، ٨ / ٢٥٢ رقم ٤٦٧، ٢ / ٨٣ رقم ١٢٩.

(٣) انظر الحديث رقم (٢٤).

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٧٦.

أخبرنا الثوري قال أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن [١٤٤] هبيرة عن علي عليه السلام في قوله **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾** الآية قال النبي ﷺ: تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثاً، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأى مال نتخذ؟ فقال عمر رضي الله عنه: أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم فقالوا: وأى المال نتخذ؟ قال: «لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعين أحدكم على دينه».

وهذا إسناد صحيح^(١) فيتقوى به حديث أبي داود السابق.

(١) بيان تراجم رجال هذا الإسناد:

- ١- الثوري هو الإمام سفيان وهو ثقة حافظ مضى في الحديث رقم (٦٧).
- ٢- وأبو حصين هو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي وهو ثقة ثبت، وربما دلس من الطبقة الرابعة (التقريب ٢ / ١٠ / رقم ٧٧).
- ٣- وأبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي العطار، وهو ثقة فاضل من الطبقة الرابعة (التقريب ٢ / ٢٤٥ رقم ١٠٨٧ ج).
- ٤- وجعدة بن هبيرة المخزومي صحابي صغير له رؤية رضي الله عنه، وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب (التقريب ٢ / ١٢٩ رقم ٦٧).

بيان المعنى:

قوله «إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب ما بقي من أموالكم» يعني أن المال الذي تؤدي زكاته يكون حلالاً لصاحبه ولا يعتبر كنزاً، وهذا مقيد بالأدلة الأخرى التي دلت على وجوب حقوق أخرى في المال غير الزكاة كالنفقة الواجبة وقرى الضيف.

وقوله «وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم» يعني أنه لو كان ادخار ما زاد على الحاجة من المال يعتبر من الكنز المحرم لم يبق مال للورثة، وإنما فرض الله سبحانه المواريث لتكون قواماً للورثة تغنيهم عن الحاجة إلى الناس حتى يستطيعوا القيام بأمورهم بأنفسهم، وإذا كان ادخار ما زاد على الحاجة محرماً لم يتحقق هذا المقصود.

وهذا بيان من النبي ﷺ للحلال والحرام في المال أما الأفضل فقد بينه النبي ﷺ في آخر هذا الحديث حيث ذكر أن خير ما يكتزهُ المرء هو المرأة الصالحة وليس المال، بل ينبغي أن يتصدق على المحتاجين وأن

=

فهؤلاء الرواة ثقات وقد سمع بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٤ / ١١١ رقم

١٩٩، ٧ / ١٢٦ رقم ٢٦٩، ١٠ / ١٣٢ رقم ٢٣٥، ٢ / ٨١ رقم ١٢٦).

يعين بهاله في النوائب التي تحل بالمسلمين من غير أن يجحف على نفسه
أو من تلزمه مؤنتهم.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة / ٣٩].

قال أبو داود السجستاني: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا زيد [١٤٥]

ابن الحباب عن عبد المؤمن بن خالد الحنفي حدثني نجدة بن نفيع قال: «سألت ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: فأمسك عنهم المطر، وكان عذابهم»^(١).

بيان الإسناد: -

١ - عثمان بن أبي شيبة ثقة حافظ تقدمت ترجمته^(٢)

٢ - زيد بن الحباب هو أبو الحسين العكلي أصله من خراسان وكان بالكوفة وقد رحل في طلب الحديث فأكثر منه، صدوق يخطئ في حديث الثوري، من الطبقة التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين،

(١) سنن أبي داود رقم ٢٥٠٦، كتاب الجهاد، باب في نسخ نفي العامة بالخاصة.

(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).

أخرج له مسلم والأربعة^(١).

٣- عبد المؤمن بن خالد الحنفي المروزي القاضي، لا بأس به من الطبقة السابعة أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي^(٢).

٤- نجدة بن نفيح الحنفي، مجهول من الطبقة الرابعة، أخرج له أبو داود^(٣).

وقال ابن حجر في التهذيب: روى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الحديث وعنه عبد المؤمن ابن خالد الحنفي المروزي^(٤).

فالحديث بهذا الإسناد ضعيف لجهالة نجدة بن نفيح وقد أخرجه البيهقي من طرق زيد بن الحباب قال حدثنا عبد المؤمن بن خالد

(١) التقريب ١ / ٢٧٣ رقم ١٦٨، الكاشف ١ / ٣٧٧، الخلاصة / ١٢٧.

(٢) التقريب ١ / ٥٢٥ رقم ١٣٧٩، الكاشف ٢ / ٣١٧، الخلاصة / ٢٤٦.

(٣) التقريب ٢ / ٢٩٨ رقم ٤٥، الخلاصة / ٤٠٠.

(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٩.

الحنفي حدثنا نجدة بن نفيع عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ استنفر حياً من العرب فتثاقلوا فنزلت ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: كان عذابهم حبس المطر عنهم^(١).
وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق زيد بن الحباب بهذا الإسناد وذكر مثل رواية البيهقي^(٢).

(١) سنن البيهقي ٩ / ٤٨، كتاب السير، باب النفير.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ١٣٤.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ ﴾^{٤٤} إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿ [التوبة/ ٤٤ - ٤٥].

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ^ط إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ^ط اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٦٢].

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت [١٤٦]

المروزي حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة

عن ابن عباس قال ﴿ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ﴾ الآية نسختها التي في النور ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ۖ إِلَى قَوْلِهِ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

بيان الإسناد:

تقدم الكلام على رجال هذا الإسناد وفيه علي بن حسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم^(٢) فالحديث على هذا محتمل للضعف لاحتمال وقوع الوهم من علي بن الحسين.

وقد روي هذا القول من كلام عكرمة والحسن البصري أخرجه ابن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري .. وذكر مثله^(٣).

وهذا الإسناد ليس فيه علي بن الحسين وإنما يرويه عن الحسين ابن واقد يحيى بن واضح وهو أبو ثُمَيْلَةَ يحيى بن واضح المروزي، وهو ثقة من كبار الطبقة التاسعة^(٤).

(١) سنن أبي داود رقم ٢٧٧١، كتاب الجهاد، باب في الإذن في القفول بعد النهي.

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

(٣) تفسير الطبري ١٠ / ١٤٣.

(٤) التقريب ٢ / ٣٥٩ رقم ١٩٣، الخلاصة / ٤٢٩.

ونظرًا لاتهم علي بن الحسين بن واقد بالوهم، وقد خالف في هذا الحديث من هو أوثق منه فإن روايته تكون ضعيفة، وبهذا يكون إسناد هذا الأثر ضعيفًا.

بيان المعنى:

في هذا الحديث بيان أن عدم جواز الاستئذان من النبي ﷺ في التخلف عن الجهاد المفهوم من قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ منسوخ بجواز الاستئذان عند الحاجة المفهوم من قوله تعالى ﴿فَإِذَا أَسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

وقد تبين لنا ضعف إسناد هذا الأثر.

والمراد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الاستئذان في التخلف عن الجهاد من غير ضرورة تدعو إلى ذلك بدليل قوله تعالى في آخر الآية ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ فالاستئذان في القعود عن الجهاد من غير ضرورة تدعو إليه سلوك لا يصدر إلا من المنافقين، أما الاستئذان في

آية النور فهو يصدر من المؤمنين عند الضرورة بدليل قوله تعالى ﴿فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فإذا انتهى الأمر الذي يدعوهم إلى التخلف عادوا إلى مقاعدتهم في صفوف المجاهدين.

وبهذا يتبين لنا أنه ليس هناك نسخ بين هذه الآيات، إذ أن لايتي سورة التوبة معنى غير المعنى المراد من آية سورة النور.

وعلى فرض ثبوت هذا الأثر يكون المراد بالنسخ هنا التخصيص.

وإذا اعتبرنا أن المراد بالنسخ في هذه الرواية التخصيص يكون معنى آية التوبة: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر في التخلف عن الجهاد إلا عند الضرورة التي تمنعهم من مواصلة الجهاد.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة / ٥٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾: [١٤٧] فتحًا أو شهادة^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ يقول: فتح أو شهادة، وقال مرة أخرى: يقول القتل فهي الشهادة والحياة والرزق، وإما يخزيكم بأيدينا^(٢).

وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يقول قتل فيه الحياة والرزق، وإما أن يغلب فيؤتاه الله أجرًا عظيمًا،

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب رقم ١٠.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ١٥١.

وهو مثل قوله ﴿وَمَنْ يُقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٧٤].

بيان المعنى:

يبين الله سبحانه للمنافقين الذين ينتظرون العاقبة السيئة بالمؤمنين أن ما ينتظرونه بالمؤمنين من الشر هو خير كله ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أي هل تنتظرون بنا في خروجنا لقتال الأعداء من النتائج إلا أن نظفر بإحدى النتيجةين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى النتائج في مجالي الحياة والموت، فإما حياة عزيزة بالنصر على الأعداء وإما موت كريم في الظفر بالشهادة وكلاهما خير وسعادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أي ونحن ننتظر بكم ما دتم على حالكم هذه ولم تؤمنوا بإيمان صدق أن يصيبكم الله بعذاب يرسله عليكم كما أرسله على المكذبين من الأمم الماضية فيهلككم أو يصيبكم بالقتل والتشريد على

أيدينا إن أنتم أظهرتم كفركم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ فانتظروا بنا هذه العاقبة ما
شئتم أن تنتظروا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ منتظرون بكم العاقبة
السيئة لكم، أما ما تنتظرونه بنا فهو خير كله لنا على كلا الاحتمالين.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة / ٦١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أُذُنٌ﴾ [١٤٨] يُصَدَّقُ^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ قال: يسمع من كل أحد، وفي قوله ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: يعني يؤمن بالله ويصدق المؤمنين^(٢).

ورواية الطبري هذه تبين لنا أن قوله «يصدق» في رواية البخاري تفسير لقوله تعالى ﴿يُؤْمِنُ﴾ وليست تفسيرًا لقوله ﴿أُذُنٌ﴾.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التوبة، الباب الأول.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ١٦٨ - ١٦٩.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي ومن المنافقين الذين سبق ذكرهم في هذه السورة ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بانتقاده والسخرية منه فيما إذا خلا بعضهم إلى بعض ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عند ما يحذر بعضهم بعضاً من اطلاع النبي ﷺ على ما يسرونه من ذلك ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يصدق كل ما يسمع من غير وزن ولا تقدير فإذا اطلع علينا ذهبنا إليه فاعتذرنا منه فصدقنا بما نقول فلا يهمكم اطلاعه على ما يجري منا.

والأذن في الأصل هي الجارحة، ويستعار لمن كثر استماعه وقبوله لما يسمع من غير تدبر، سمى بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة^(١).

وقد جرأهم على هذا السلوك المنحرف تسامح النبي ﷺ معهم وقبوله ما يظهر له من أمرهم من غير تحقيق معهم أو تعنيف لهم. ثم أمر الله نبيه ﷺ بأن يحيبهم ببيان حقيقة مقامه وقيمة وجوده

(١) تفسير الزمخشري ٢ / ١٩٩، المفردات في غريب القرآن (مادة أذن).

بينهم فقال ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي هو أذن في الخير والحق وفيما يشرع سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يعني: يصدق بوجود الله ووحدانيته. وهذا تفسير لقوله تعالى ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ المعنى: إنما كان خيراً لكم بإيمانه بالله عز وجل لأنه ما دام كذلك فلن يأمركم إلا بما فيه خيركم، ولن يحذركم إلا عما فيه شركم.

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدقهم، وقد عُدي الفعل هنا باللام بينما عدي بالنسبة لله عز وجل بالباء لأن المقصود من الإيمان بالله التصديق بوجوده ووحدانيته بينما المقصود من الإيمان للمؤمنين تصديقهم فيما يقولون والتسليم لهم، ونظيره قوله تعالى ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس / ٨٣] وقوله حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف / ١٧]^(١).

(١) تفسير الزخشري ٢ / ١٩٩.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٠٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿تُطَهِّرُهُمْ [١٤٩] وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ونحوها كثير، والزكاة الطاعة والإخلاص^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جاؤوا بأموالهم - يعني أبا لبابه وأصحابه حين أطلقوا - فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، قال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: استغفر لهم^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التوبة، الباب الأول.

(٢) تفسير الطبري ١١ / ١٦.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ الضمير في قوله ﴿ أَمْوَالِهِمْ ﴾ يعود على المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٠٢] والمقصود بهؤلاء الجماعة من الصحابة تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبي ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي ﷺ إذا رجع في المسجد عليهم فلما رأهم قال: من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟ قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يعذرهم، رغبوا عني

وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين! فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله يطلقنا، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ - وعسى من الله واجب - فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم^(١).

وقول ابن عباس «والزكاة الطاعة والإخلاص» ليس من باب التفسير اللفظي للآية وإنما أراد أن تزكية النفوس بالصدقة يوصلها إلى التحلي بطاعة الله عز وجل والإخلاص له.

قال ابن جرير ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ يقول: وتنميتهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص^(٢).

وقوله «ونحوها كثير» يعني كثير ورود الزكاة بهذا المعنى، وذلك مثل قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس / ٩] يعني طهر نفسه

(١) تفسير الطبري ١١ / ١٢ وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

(٢) تفسير الطبري ١١ / ١٦.

من الإثم بطاعة الله تعالى، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ^٤ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [النساء / ٤٩] وقوله تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ [البقرة / ١٥١] وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم.

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾
[التوبة / ١١٤].

قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني: أخبرنا ابن عيينة عن أبي سنان [١٥٠] عن سعيد بن جبير قال: توفي أبو رجل وكان يهودياً فلم يتبعه ابنه فذكر ذلك لابن عباس، فقال ابن عباس وما عليه لو غسله واتبعه واستغفر له ما دام حياً - يقول دعا له ما كان الأب حياً - قال: ثم قرأ ابن عباس ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ يقول: لما مات على كفره^(١).

بيان الإسناد :-

١ - ابن عيينة هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة، وهو ثقة إمام فقيه حجة، وقد تقدمت ترجمته^(٢).

(١) مصنف عبد الرزاق، وكتاب أهل الكتاب (٦ / ٤٠ رقم ٩٩٣٧).

(٢) انظر الحديث رقم (١٧).

٢- أبو سنان هو ضرار بن مرة الكوفي الشيباني الأكبر، وهو ثقة ثبت، من الطبقة السادسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود في مراسيله والترمذي والنسائي^(١).

٣- سعيد بن جبير ثقة ثبت كما تقدم^(٢).
وقد سمع هؤلاء الرجال بعضهم من بعض^(٣).
فالحديث صحيح بهذا الإسناد.
وأخرجه ابن جرير من طريقين عن أبي سنان الشيباني عن سعيد بن جبير .. وذكر نحوه^(٤).

بيان المعنى :-

في هذا الأثر يبين ابن عباس رضي الله عنهما جواز الدعاء للكافر

(١) التقريب ١ / ٣٧٤ رقم ٢٢، الكاشف ٢ / ٣٧، الخلاصة / ١٧٧.

(٢) انظر الحديث رقم (١١).

(٣) انظر تهذيب التهذيب ٤ / ١١٧ رقم ٢٠٥، ٤٥٧ رقم ٧٨٩.

(٤) تفسير الطبري ١١ / ١٤.

ما دام حيًّا على أمل أن يهتدي فيختم له بالسعادة أما بعد الموت فإنه يصبح من أهل النار المخلدين فيها فلا ينفعه الاستغفار له.

وقد فسر ابن عباس قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾^٤ بقوله «يقول: لما مات على كفره» أي أنه لما كان حيًّا كان هناك أمل في هدايته أما بعد موته فلا أمل في ذلك لأنه قد خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء.

والمراد بالعداوة في الآية على هذا العداوة الأبدية التي تبينت بموت والد إبراهيم عليه السلام على الكفر إذ أن الكافر عدو لله حتى وهو على قيد الحياة ولكن لا يتبين كونه ممن كتبت عليه الشقاوة واستمرار العداوة لله إلا بعد موته على الكفر.

١٠ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظَ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيًّا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝١٢٠ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿[التوبة/ ١٢٠ - ١٢٢].

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد المروزي [١٥١]

حدثني علي بن الحسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن

عباس قال: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة/ ٣٩]

و﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ إلى قوله ﴿يَعْمَلُونَ﴾ نسختها الآية التي

تليها ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾^(١).

بيان الإسناد:

تقدم الكلام على رجال هذا الإسناد، وفيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم^(٢)، فالحديث بهذا السند محتمل للضعف لاحتمال وقوع الوهم فيه.

وقد روي هذا الأثر من كلام الحسن البصري وعكرمة أخرجه ابن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري ... وذكر مثله.

وهذا الإسناد ليس فيه علي بن الحسين وإنما يرويه عن الحسين ابن واقد أبو ثُمَيْلَة يحيى بن واضح المروزي وهو ثقة كما تقدم^(٣).

وبمخالفة علي بن الحسين بن واقد لمن هو أوثق منه تكون روايته

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في نسخ نفي العامة رقم ٢٥٠٥.

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

(٣) انظر الحديث رقم (١٦٠).

ضعيفة، فيكون إسناد هذا الأثر ضعيفاً.

بيان المعنى:

يفهم من ظاهر قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقوله ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أن الخروج للجهاد واجب على المؤمنين جميعاً، وقد بين ابن عباس في هذا الأثر أن ذلك منسوخ بانتفاء مشروعية خروج المؤمنين جميعاً المستفاد من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾. وقد تبين لنا ضعف هذا الأثر.

وقد جاء قوله تعالى ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ بعد قوله ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ فالظاهر من سياق هذه الآيات أن نهي المؤمنين عن الخروج جميعاً مبين للمقصود من الأمر به.

فالمعنى: وما صح ولا استقام للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً للجهاد في سبيل الله لأن في ذلك تعطيلاً للعمران وتعريضاً للنساء والذرية

للخطر من مداهمة الأعداء فهلا خرج من كل قبيلة طائفة مع النبي ﷺ ليتفقهوا في الدين بما يسمعون من النبي ﷺ وما يشاهدونه من سلوكه ومن إنزال النصر عليه وما يُجْريه الله على يديه من المعجزات فيبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا إليهم ويخوفوهم من عذاب الله ﴿لعلهم يحذرون﴾ فيقوى إيمانهم بالله تعالى ويقلعوا عما هم عليه من المعاصي!

﴿سورة يونس﴾

ما جاء في قوله تعالى

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس / ٢٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فاختلط﴾ [١٥٢]

فنبت بالماء من كل لون^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ قال: اختلط فنبت بالماء من كل لون ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يونس.

والبقول والثمار، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي^(١).

بيان المعنى:

يبين الله سبحانه لنا في هذه الآية حقارة الحياة الدنيا وهوان أمرها بما فيها من جمال وزينة، حيث ضرب لنا المثل لهذه الحياة في إقبالها بما تحمله من بهاء وجمال ثم إدبارها فجأة وانقطاعها، بهاء أنزله الله جل وعلا من السماء على الأرض فأنبتت به نباتًا مختلفًا ألوانه، حتى إذا استوى هذا النبات على الأرض وأصبح بهيج النظر يرجى خيره ونفعه أرسل الله عليه آفة تهلكه وتقتلعه من جذوره حتى إذا نظر إليه الناظر لا يتصور أنه كان هناك بالأمس نبات بهيج المنظر زاهي الألوان.

والباء في قوله تعالى ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ سببية يعني فاختلط بسبب الماء نبات الأرض، كما جاء في قول ابن عباس «فنبت بالماء من كل لون».

(١) تفسير الطبري ١١ / ١٠١.

﴿سورة هود﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود/ ٥].

قال الإمام البخاري: حدثنا الحسن بن محمد بن صباح حدثنا [١٥٣] حجاج قال قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ قال سألتها عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم».

وفي رواية أخرى للبخاري عن عمرو بن دينار قال: قرأ ابن عباس ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ وقال غيره عن ابن عباس ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾ يغطون رءوسهم^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ} حديث رقم (٤٦٨١)،

بيان المعنى:

قوله «سمع ابن عباس يقرأ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾» «تثنوني» مضارع اثنوني كاحلولي فوزنه تَفْعَوْعِلْ بتكرير العين وهو من أبنية المزيد الموضوعة للمبالغة، وهذه القراءة في معنى قراءة الجمهور إلا أن المبالغة ملحوظة فيها فيكون المعنى مثلاً: ألا إنهم تنحرف صدورهم انحرافاً بليغاً^(١).

وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أن الآية نزلت في أناس كانوا يستخفون عند قضاء الحاجة وعند مجامعة النساء حتى لا يفضوا بعوراتهم إلى السماء حياء من الله تعالى.

وبناء على هذا تكون هذه الآية قد نزلت في المسلمين لأن الكفار لا يصدر منهم مثل هذا العمل غالباً.

وقد روي عن ابن عباس في معنى الآية تفسير آخر وهو ما [١٥٤]

أخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن

(١) روح المعاني للألوسي ١١ / ٢١٠.

ثور عن معمر قال: أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ ﴿ألا إنهم
تثنوني صدورهم﴾ وقال ابن عباس ﴿تثنوني صدورهم﴾ الشك في الله
وعمل السيئات ﴿يَسْتَعْشُونَ لِيَا بَهُمْ﴾ يستكبر أو يستكن من الله والله
يراه ﴿لِيَا بَهُمْ﴾ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ^(١) وهذا إسناد ضعيف
لانتقطاعه^(٢).

وبناء على هذا القول تكون الآية نازلة في الكفار.

(١) تفسير الطبري ١١ / ١٨٥.

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - محمد بن عبد الأعلى هو الصنعاني، وهو ثقة من الطبقة العاشرة (التقريب ٢ / ١٨٢ رقم
٤٣٤، الخلاصة / ٢٤٧).

٢ - محمد بن ثور هو الصنعاني أبو عبد الله العابد، وهو ثقة من الطبقة التاسعة (التقريب ٢ /
١٤٩ رقم ٩٤، الكاشف ٣ / ٢٧).

٣ - معمر هو ابن راشد الأزدي، وهو ثقة تقدمت ترجمته (انظر ص ٢٠).

٤ - عكرمة مولى ابن عباس وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته (انظر حديث رقم ٥).

فرجال هذا الإسناد ثقات إلا أن فيه انقطاعاً ما بين معمر وعكرمة حيث قال معمر «أخبرت
عن عكرمة» ولم يبين من أخبره.

والقول الأول أرجح من حيث الإسناد حيث رواه الإمام البخاري، والقول الثاني أقرب إلى سياق الآية.

والظاهر أن ابن عباس لم يرد أن الآية نزلت بسبب هؤلاء الذين يستحيون من الإفضاء إلى السماء ولعله أراد أن هؤلاء الذين يسلكون هذا المسلك وهم يعتقدون أن الله لا يراهم يشبهون الكفار الذين نزلت فيهم الآية حيث كانوا يحنون صدورهم ويغطون رؤوسهم بشياهم ليستخفوا من الله حينما يسمعون كلامه الذي يشتمل على ردعهم وزجرهم.

ومما يدل على ذلك أن الإمام البخاري روى عن ابن عباس بعد هذا الحديث أنه فسر قوله تعالى ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾ بقوله «يغطون رؤوسهم» وهذا لا يكون في حال الاستخفاء عند قضاء الحاجة، وإنما يكون عند سماع الكلام الشديد الذي يشتمل على التأنيب والتفريع والتهديد.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود / ٧].

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن المنهال بن عمرو [١٥٥]

عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قلت: على أي شيء كان الماء قبل أن يخلق شيء؟ قال: على متن الريح، قال ابن جريج قال سعيد بن جبير: فقال ابن عباس: فكان يصعد إلى السماء بخار كبخار الأنهار فاستصبر فعاد صبيراً، فذلك قوله ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١).

بيان الإسناد:

- ١ - معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت، كما تقدم.
- ٢ - الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، وهو ثقة

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الحج، باب بنيان الكعبة حديث رقم ٩٠٨٩.

حافظ عارف بالقراءة ورع، لكنه يدلّس، وهو من الطبقة الخامسة^(١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن تدليسه من النوع الذي لا يؤثر على روايته حيث ذكره من الطبقة الثانية من المدلسين وهم من احتمل الأئمة تدليسهم وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا أو لأنهم لا يدلّسون إلا عن ثقة^(٢).

٣- المنهال بن عمرو الأسدي بالولاء الكوفي، صدوق ربما وهم، من الطبقة الخامسة^(٣).

٤- وسعيد بن جبير ثقة ثبت، كما تقدم.

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(٤).

فرجال هذا الإسناد ثقات ما عدا المنهال بن عمرو فهو صدوق ربما أخطأ، ولكنه لم يخطئ في هذا الحديث لأن الإمام ابن جرير

(١) التقريب ١ / ٢٣١ رقم ٥٠٠، تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٤، الخلاصة / ١٥٥.

(٢) طبقات المدلسين ص ٩.

(٣) التقريب ٣ / ٢٧٨ رقم ١٤٠٢.

(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣١٩ رقم ٥٥٥، تهذيب الكمال (ترجمة معمر).

أخرجه بإسناد صحيح عن الأعمش عن سعيد بن جبير وليس بينهما المنهال بن عمرو، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس وذكر نحوه^(١).

ورجال هذا الإسناد ثقات تقدمت تراجعهم والأعمش قد سمع من سعيد بن جبير^(٢).

وبناء على هذا يكون هذا الحديث صحيحًا.

بيان المعنى:

قوله «فكان يصعد إلى السماء بخار كبخار الأنهار فاستصبر فعاد صبيرًا» قال ابن الأثير: الصبير سحاب أبيض متراكب متكاثف، يعني تكاثف البخار وتراكم فصار سحابًا^(٣).

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٤ / ١٢.

(٣) النهاية لابن الأثير (مادة صبر).

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود / ٢٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: [١٥٦]

﴿لَا جَرَمَ﴾^(١) بلى.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله «﴿لَا جَرَمَ﴾ بلى» يعني أن هذه الصيغة تستعمل للإثبات

والتحقيق.

قال الفراء: لا جرم: كلمة كانت في الأصل بمنزلة: لا بد أنك

قائم ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها

حتى صارت بمنزلة «حقاً» ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك،

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٤٨.

لا جرم قد أحسنت، وكذلك فسرهما المفسرون بمعنى الحق، وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب وجرمته^(١).

والضمير في قوله تعالى ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ يعود على الكفار المذكورين في الآيات السابقة.

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٨.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَزَّيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود / ٢٧].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ بَادَى الرَّأْيِ ﴾ ما ظهر لنا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

المعنى: فقال الكبراء من قوم نوح الذين كفروا بدعوته ﴿ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ فما الذي فضلك علينا حتى تكون رسولا من الله إلينا وما نراك اتبعك إلا ضعفاؤنا وسفلتنا ﴿ بَادَى الرَّأْيِ ﴾ أي ظاهر الرأي الذي يظهر لنا عند المقارنة بين من اتبعوك ومن خالفوك.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٢٨.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
 اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾
 [هود / ٤٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَفَارَ [١٥٨] التَّنُّورُ﴾ نبع الماء^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٤٠.

(٣) تفسير الطبري ١٢ / ٣٩.

بيان المعنى:

وعلى هذا التفسير المراد بالتنور في الآية التنور الذي يخبز فيه،
فيكون الله سبحانه قد جعله علامة لنوح عليه السلام.

وقيل إن المراد بالتنور وجه الأرض وقيل هو تنوير الصبح وقيل
هو أشرف الأرض وأعلاها، ذكر ذلك ابن جرير ورجح كون المراد
تنور الخبز لأنه هو المشهور بهذا الاسم عند العرب والقرآن نزل
بلغتهم^(١).

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٣٨ - ٤٠.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَقِيلَ يَتَّزِئُ أْبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود / ٤٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَقْلَعِي﴾ [١٥٩] أمسكي^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿أَقْلَعِي﴾: يقول: أمسكي ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ يقول: ذهب الماء^(٢).
وقد نزلت هذه الآية ضمن آيات من سورة هود في شأن الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح لما كذبوا رسولهم نوحًا عليه السلام، حيث أمر الله سبحانه السماء فأمرت وأمر الأرض ففجرت عيونها فالتقى ماء السماء وماء الأرض وأغرق الله الكافرين وأنجى نوحًا ومن معه في السفينة التي أمره الله بصنعها قبل ذلك.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٤٧.

ثم أمر الله سبحانه السماء فأمسكت وأمر الأرض فابتلعت الماء في جوفها حتى جف الماء الذي فوق الأرض واستوت السفينة على جبل يقال له «الجودي» كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ يقول: على الجبل واسمه الجودي^(١).

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٤٨.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۖ﴾ (٧٧) ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَتَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۚ﴾ (٧٨) ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۚ﴾ (٧٩) ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُم قُوَّةٌ أَوْ أَوْىءٌ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۚ﴾ (٨٠) ﴿قَالُوا يَلْبُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ ۚ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۚ﴾ [هود / ٧٧ - ٨١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سِئَءَ [١٦٠]

بِهِمْ﴾ ساء ظنه بقومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ بأضيافه ﴿عَصِيبٌ﴾ شديد، ﴿يُهْرَعُونَ﴾ مسرعين ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ بسواد^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود عليه السلام في المقدمة والباب الأول وسورة

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ يقول: ساء ظناً بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي يوم شديد، وفي قوله ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يقول مسرعين، وفي قوله ﴿يَقْطَعُ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ قال: بطائفة من الليل^(١).

بيان المعنى:

قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ المراد بالرسول الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لإهلاك قوم لوط وكانوا على هيئة بشر فأراد بهم قومه شرًّا وسوءًا.

قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: «مسرعين» وقال أبو عبيدة: أي يستحثون إليه^(٢) وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه يراعون مع سرعة المشي

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٨١، ٨٤، ٩٣.

(٢) مجاز القرآن ١ / ٢٩٤.

مما بهم من طلب الفاحشة يقال: «أهرع الرجل» من برد أو غضب أو
حمى إذا أرعد، «وهو مهرع» إذا كان معجلاً حريصاً كما قال الراجز:

بمعجلات نحوه مهارع

ومنه قول مهلهل:

فجاؤوا يهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الأنوف^(١)

قوله «يَقْطِعُ مِّنَ اللَّيْلِ» بسواد. قال ابن منظور: والقطع ظلمة

آخر الليل، ومنه قوله تعالى «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ» قال
الأخفش: بسواد من الليل، قال الشاعر:

افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم^(٢)

وقال الفراء: وقوله «يَقْطِعُ»: بظلمة من آخر الليل^(٣).

(١) تفسير الطبري ١٢ / ٨٣ لسان العرب (مادة هرع).

(٢) لسان العرب (مادة قطع).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود/

١٠٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ صوت [١٦١]

شديد وصوت ضعيف^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ قبل إن الزفير إخراج النفس

والشهيق رده، وقال الزجاج: الزفير والشهيق من أصوات المكرابين،

قال: والزفير من شديد الأنين وقبيحه، والشهيق الأنين الشديد

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق. باب رقم (١٠).

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ١١٦.

المرتفع جداً^(١).

وعلى هذا فقول ابن عباس: «صوت شديد» يقصد به الشهيق،
وقوله «وصوت ضعيف» يقصد به الزفير.

وقال الراغب الأصفهاني: فالزفير تردد النفس حتى تنتفخ
الضلوع منه، وازدفر فلان كذا إذا تحمله بمشقة فتردد فيه نفسه، وقبل
للإماء الحاملات للماء زوافر^(٢).

(١) لسان العرب (مادة شهق).

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني (مادة زفر).

﴿سورة يوسف﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف / ٩٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ تجهلون^(١). [١٦٢]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ يعني ولما خرجت القافلة
التي تحمل إخوة يوسف عليه السلام من عند يوسف في مصر
﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ هو يعقوب عليه السلام وهو في الشام ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يوسف عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٩٥.

رِيحٌ يُوسُفُ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ ﴿١﴾ يعني لولا أن تنسبوني إلى الجهل وضعف الرأي لصدقتُموني فيما أقول لكم، فجواب لولا محذوف دل عليه سياق الكلام.

والفند يطلق على الفساد كما في قوله النابغة:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند

ويطلق على ضعف الرأي والجهل والخرف من الكبر^(١).

وقال الفراء في معنى قوله ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ﴾ يقول: تكذبون

وتعجزون وتضعفون^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٦١، تفسير الألوسي ١٣ / ٥٣، لسان العرب (مادة فند).

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٥٥.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف / ١١٠].

قال الإمام البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن [١٦٣] ابن جريج قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ خفيفة، ذهب بها هناك وتلا ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك ^(١).

بيان المعنى:

قوله ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ خفيفة» أي قرأها بتخفيف الذال وهي قراءة أبي جعفر والكوفيين وقرأ الباكون بالتشديد ^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يوسف، حديث رقم ٤٥٢٤.

(٢) الشر في القراءات العشر ٢ / ٢٩٦.

قوله في رواية البخاري «ذهب بها هناك وتلا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾» الإشارة في قوله «هناك» تعود إلى السماء كما جاء في رواية أخرى أخرجها النسائي والإسماعيلي من هذا الوجه بلفظ «ذهب ها هنا - وأشار إلى السماء - وتلا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾»^(١) وما أبهم في هذه الرواية جاء مصرحاً به في رواية الطبري عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة عن ابن عباس قرأ ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ خفيفة، قال ابن جريج: أقول كما يقول: أخلفوا، قال عبد الله -يعني ابن أبي مليكة- قال لي ابن عباس: كانوا بشرًا، وتلا ابن عباس ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: ذهب بها إلى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا»^(٢).

(١) فتح الباري ٨ / ٣٦٨.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ٨٦.

وعلى هذا التفسير فالضمير في قوله تعالى ﴿وَزَنُّوا﴾ يحتمل أن يعود على الرسل وأن يعود على أتباع الرسل من المؤمنين وهذا هو الظاهر لأنه لا يجوز على الرسل أن يظنوا أن الله يخلف وعده، وإنما قد يحصل الضعف من بعض المؤمنين.

وقد روى عن ابن عباس ما يدل على أن الضمير في الآية يعود على الكفار من أتباع الرسل، من ذلك ما أخرجه ابن جرير من طرق كثيرة عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعلى بن أبي طلحة وغيرهم عن ابن عباس أنه قال: أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم^(١).

وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» وصححه^(٢).

وقد اختار ابن جرير القول بأن الضمير في قوله ﴿وَزَنُّوا﴾ يعود

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٨٤ - ٨٥.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٦٩.

على الكفار من الأمم السابقة واستدل على ذلك بأن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ اٰهْلِ اَلْقُرْاٰى اَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَتْ عٰقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال: فكان ذلك دليلاً على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا وأن المضمّر في قوله ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ إنما هو من ذكر من الذين من قبلهم من الأمم السابقة وزاد ذلك وضوحاً أيضاً إتباع الله في سياق الخبر عن الرسل وأمرهم قوله ﴿فَنَجِي مِنْ نَشَأٍ﴾ إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتهم فكذبوهم ظناً منهم أنهم قد كذبوهم^(١).

وقال الحافظ ابن حجر في شرح رواية البخاري: ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله «كانوا بشرّاً» إلى آخر كلامه من

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٨٥.

آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل وقول الراوي عنه «ذهب بها هناك أي إلى السماء» معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع^(١).

ثم ذكر الرواية الأخيرة عن ابن عباس التي تنسب الظن إلى أقوام الرسل وقال: فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك وهو أعلم بمراد نفسه من غيره^(٢).

أقول والرواية الأولى التي أخرجها الإمام البخاري عن ابن عباس مبهمة لم يبين فيها مرجع الضمائر في الآية أما الرواية الأخيرة التي أخرجها ابن جرير فهي واضحة حيث بين فيها مرجع الضمائر ونوع التكذيب فهي المعتمدة في بيان تفسير ابن عباس، وكلتا

(١) فتح الباري ٨ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٦٩.

الروایتین قد نقلتا نقلاً صحیحاً.

أما رواية ابن جريج التي أخرجها ابن جرير فيحمل قوله ابن عباس فيها «كونوا بشرًا» الخ على أتباع الرسل من المؤمنين لا على الرسل كما ذكر ابن حجر.

﴿سورة الرعد﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ^١ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد / ٧].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿هَادٍ﴾ داع^(١). [١٦٤]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ المراد بالهداية هنا الدلالة إلى الخير والدعوة إلى الطريق المستقيم.

وأصل الهداية التقدم ومنه قيل للعتق هادي لتقدمه على سائر

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة إبراهيم عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ١٠٨

الجسد وهوادي الوحش متقدماتها الهادية لغيرها ويقال للدليل:
الهادي لأنه يتقدم القوم^(١).

والهادي يحتمل أن يكون المراد به النبي ﷺ فيكون المعنى إنما أنت
منذر وداع لجميع الأقوام تدعوهم إلى الله عز وجل ويحتمل أن يكون
المراد بالهادي كل نبي أرسله الله تعالى فيكون المعنى إنما أنت منذر لهذه
الأمّة، ولكل قوم من الأمم السابقة نبي يدعوهم إلى الله عز وجل^(٢).

(١) لسان العرب، المفردات في غريب القرآن، مقاييس اللغة (مادة هدى).

(٢) انظر تفسير الطبري ١٣ / ١٠٦.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ
كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ﴾ [الرعد / ١٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَبْسِطٍ [١٦٥]

كَفَّيْهِ﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إلهًا غيره كمثل العطشان الذي
ينظر إلى ظل خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

بيان المعنى:

يبين ابن عباس في هذا الحديث أن مثل من يعبد الأوثان من

دون الله وهي لا تمد يدها لعبادتها بنفع ولا تدفع عنهم أي ضرر

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرعد.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ١٣٠

كمثل من يمد يديه إلى خياله في الماء ليتناوله ولا يستطيع ذلك.

وقد روي عن ابن عباس في بيان معنى المثل في الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يقول: مثل الأوثان الذين يعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفّاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه، يقول الله: لا تستجيب الآلهة ولا تنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفّاهما هذا فاه وما هما ببالغتين فاه أبداً.

وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية لأن الله جل وعلا ذكر في هذا المثل الذي ضربه لبيان عجز الأصنام عن نفع عابديها أن الذي بسط يديه إلى الماء أراد من ذلك أن يرتفع الماء حتى يبلغ فاه، وهذا المعنى ينطبق على ما جاء في الرواية الثانية ولا ينطبق على الرواية الأولى.

وقد روي عن علي عليه السلام تفسير الآية بنحو ما جاء في الرواية الثانية حيث قال في تفسير الآية: كالرجل العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع

الماء إليه وما هو ببالغه. أخرجه ابن جرير.

وأخرج نحو ذلك عن مجاهد وقتادة^(١).

وقوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ ^{يط} هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله كما

فسرها ذلك ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه ابن جرير عنه من طريق عكرمة ومن طريق علي بن أبي

طلحة^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٣ / ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ١٢٨.

﴿سورة إبراهيم﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم / ٢٨ - ٢٩].

قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو [١٦٦]

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: هم والله كفار قريش^(١).

بيان المعنى:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ المراد بنعمة الله ما أنعم به عليهم من إرسال رسول الله ﷺ منهم يدعوهم إلى الطريق المستقيم.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، حديث رقم ٣٩٧٧.

وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أن المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفراً كفار قريش، وقد جاء في بعض الروايات التي أخرجها الطبري من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: هم المشركون من أهل بدر^(١).

أقول والمراد بهم قادتهم وزعمائهم لأنهم هم الذين أوردوا قومهم موارد الهلاك حيث صدوهم عن الدخول في الإسلام.

وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفراً «جَبَلَةُ بن الأيهم» والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم^(٢).

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم فيقدم عليه ما جاء في الصحيح.

هذا من ناحية الإسناد، أما من ناحية المتن فهذا الأثر باطل لا

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٢٢٢.

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ٢٢٣.

يعتبر لأن التاريخ يثبت أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة لم يسلم إلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد كان مع الروم في معركة اليرموك، ثم أسلم وارتد عن الإسلام ولحق بالروم في عهد عمر رضي الله عنه، وذلك حينما لطم رجلاً فأراد عمر أن يقيد ذلك الرجل منه فأخذته العزة وداخله الشك فارتد عن الإسلام^(١).

وقوله تعالى ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ البوار الهلاك من بار يبور بوراً وبواراً^(٢) والمراد بدار البوار جهنم لقوله تعالى بعد ذلك ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾.

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذري ١٤١ و ١٤٢ وتاريخ ابن خلدون ٢ / ٢٨١.

(٢) لسان العرب، مادة (بور).

﴿سورة الحجر﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾

[الحجر / ٢٤].

قال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة أخبرنا نوح بن قيس الحُدائي [١٦٧]

عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: «كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾»^(١).

بيان الإسناد:

١ - قتيبة هو ابن سعيد بن جميل البغلاني، وهو ثقة ثبت تقدمت

ترجمته.

(١) سنن الترمذي، رقم ٥١٢٨، كتاب التفسير، سورة الحجر.

٢- نوح بن قيس بن رباح الأزدي أبو روح البصري صدوق رمي بالتشيع وهو من الطبقة الثامنة، مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة أخرج له الإمام مسلم والأربعة^(١).

٣- عمرو بن مالك النُّكْرِي بضم النون البصري، صدوق له أوهام من الطبقة السابعة مات سنة تسع وعشرين ومائة، روى له البخاري في أفعال العباد والأربعة^(٢).

٤- أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي بفتح الباء ثقة يرسل كثيرًا من الطبقة الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين ومائة^(٣). وهذا إسناد متصل قد سمع رواه بعضهم من بعض^(٤).

(١) التقريب ٢ / ٣٠٨، رقم ١٦٨.

(٢) التقريب ٢ / ٧٧، الميزان ٤ / ٢٧٩.

(٣) التقريب ١ / ٨٦ رقم ٦٥٦، الكاشف ١ / ١٤٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٨ رقم ٦٣٩، ١٠ / ٤٨٥ رقم ٨٧٥، ٨ / ٩٦ رقم ١٥٤، ١ / ٣٨٣ رقم ٧٠٢.

لكنه ضعيف لأن فيه عمرو بن مالك النكري وقد اتهم بالوهم في الحديث، ونقل الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي الجوزاء شيخ عمرو بن مالك عن ابن عدي قال: حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة^(١).

وقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وأبو داود الطيالسي وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من طريق نوح بن قيس الحُدائي عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس^(٢).

(١) تهذيب التهذيب ١ / ٣٨٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ١ / ٣٠٥؛ سنن النسائي ٢ / ١١٨.

كتاب الإمامة، باب المنفرد خلف الصف.

سنن ابن ماجه رقم ١٠٤٦ كتاب إقامة الصلاة، باب الخشوع.

مسند الطيالسي ٢ / ٢٠ رقم ١٩٦٠

موارد الظمان، كتاب التفسير رقم ١٧٤٩.

المستدرک ٢ م ٣٥٣، كتاب التفسير، سورة الحجر.

سنن البيهقي ٣ / ٩٨، كتاب الصلاة، باب الرجل يقف في آخر الصفوف.

وقال الإمام الترمذي بعد رواية هذا الحديث: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح.

أقول: وقد أخرج الطبري هذا الحديث من طريق عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين^(١).

وقد روى عن ابن عباس في الآية تفسير آخر وهو ما أخرجه [١٦٨] الإمام ابن جرير قال: حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة: قوله ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ قال: كان ابن عباس

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٢٦.

يقول: آدم ﷺ ومن مضى من ذريته ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾ من بقي في أصلاب الرجال^(١).

وإسناده ضعيف لانقطاعه حيث لم يسمع قتادة من ابن عباس^(٢).

ولكن معناه مناسب لسياق الآيات لأن الله جل وعلا قال قبل

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٢٤.

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - بشر هو ابن معاذ العقدي وهو صدوق من الطبقة العاشرة (التقريب ١ / ١٠١) رقم (٧٤).

٢ - ويزيد هو ابن زريع وهو ثقة ثبت مضى في الحديث رقم ٤٩.

٣ - وسعيد هو ابن أبي عروبة وهو ثقة حافظ مضى في الحديث رقم ١١.

٤ - وقاتادة هو السدوسي وهو ثقة ثبت مضى في الحديث رقم ١١.

وهذا الإسناد متصل إلى قتادة (انظر سماع هؤلاء الرواية بعضهم من بعض في تهذيب التهذيب ١ / ٤٥٨ رقم ٨٤٣، ١١ / ٣٢٥ رقم ٧٢٦، إلا أن قتادة لم يسمع من ابن عباس، انظر تهذيب ٨ / ٣٥١ رقم ٦٣٥).

هذه الآية ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وقال بعدها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فكونه جل وعلا هو الذي يحيي خلقه ويميتهم وهو الآخر الذي يبقى بعد ما تفنى الخلائق ثم يحشرهم جميعاً يستلزم أن يكون عالماً بالأولين والآخرين فجميع الخلق خاضعون لسنة الإحياء والإماتة ثم الحشر بعد ذلك لأنه تعالى عالم بهم جميعاً لا تخفى عليه خافية.

فهذا هو المعنى المناسب لسياق الآيات أما المعنى المذكور في حديث الباب فمع أنه مما يستبعد وقوعه في عصر النبي ﷺ فهو بعيد عن سياق الآيات.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾

[الحجر / ٦١ - ٦٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿قَوْمٌ﴾ [١٦٩]

﴿مُنْكَرُونَ﴾ أنكرهم لوط^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وقوله «أنكرهم لوط» أي لم يعرف لوط عليه السلام أن الذين

نزلوا عليه من الملائكة لكونهم جاءوا في صورة البشر.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٧٩.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر / ٧٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [١٧٠] لعيشك^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يقول لعيشك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يتمادون^(٢).

وأخرجه أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قال: لحياتك. ذكره الهيثمي وقال: إسناده جيد^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ٢٤.

(٣) مجمع الزوائد ٧ / ٤٦.

بيان المعنى:

هذه الآية جاءت ضمن آيات تتحدث عن قوم لوط عليه السلام والخطاب في قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لرسول الله ﷺ وما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١).

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده^(٢).

وقوله ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ قال قتادة: أي في ضلالتهم^(٣) يعني وهم في ضلالتهم وغوايتهم التي أذهبت عقولهم فلم يدركوا الحق الذي

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٤٤.

(٢) المطالب العالية رقم ٣٦٦٣.

(٣) تفسير الطبري ١٤ / ٤٤.

دعاهم إليه نبيهم لوط عليه السلام حتى داهمهم العذاب وهم غافلون عما يراد بهم.

وقوله ﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه هو الحيرة والتردد، والعمه في البصيرة كالعمى في البصر^(١)، وفسره ابن عباس بالتمادي لأن مما يترتب على الحيرة وعمى البصيرة التماضي في الضلال والغواية.

(١) لسان العرب مادة (عمه).

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر / ٨٧].

قال الإمام النسائي: أخبرني محمد بن قدامة قال حدثنا جرير عن [١٧١]

الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوتي النبي ﷺ سبعا من المثاني، السبع الطوال^(١).

بيان الإسناد:

١ - محمد بن قدامة بن أعين المصيص الهاشمي بالولاء، ثقة من

الطبقة العاشرة، مات سنة خمسين ومائتين تقريباً. أخرج له أبو داود والنسائي^(٢).

٢ - جرير هو ابن عبد الحميد الضبي، وهو ثقة صحيح الكتاب

(١) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب تأويل قوله تعالى {ولقد آتيناك سبعا من المثاني}

١٣٩/٢.

(٢) التقريب ٢ / ٢٠١ رقم ٦٣٥، الكاشف ٣ / ٩٠، الخلاصة / ٣٥٦.

وقيل كان في آخر عمره يهم إذا حدث من حفظه.

٣- والأعمش هو سليمان بن مهران وهو ثقة حافظ لكنه يدلّس ولكن تدليسه من النوع الذي لا يؤثر على صحة روايته كما تقدم^(١).

٤- ومسلم هو ابن عمران البطين أبو عبد الله الكوفي، وهو ثقة من الطبقة السادسة، أخرج له الجماعة^(٢).

٥- وسعيد بن جبير ثقة ثبت.

فهؤلاء الرواة ثقات وقد سمع بعضهم من بعض^(٣) وعلى هذا فالإسناد صحيح وصححه الحافظ ابن حجر^(٤).

وأخرجه الإمام أبو داود السجستاني من طريق عثمان بن أبي

(١) انظر الحديث رقم ١٦٩.

(٢) التقريب ٢ / ٢٤٦ رقم ١٠٩٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٤٠٩ رقم ٦٦٥، ٢ / ٧٥ رقم ١١٦، ١٠ / ١٣٤ رقم ٢٤٤.

(٤) فتح الباري ٨ / ١٥٨.

شبهة بهذا الإسناد وذكر مثله. وزاد «وأوتي موسى عليه السلام ستاً فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقي أربع»^(١).

وأخرجه الإمام النسائي أيضاً من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسلم البطين بهذا الإسناد وذكر مثل الرواية الأولى^(٢).

بيان المعنى:

من هذه الرواية تبين لنا أن السبع المثاني في الآية هي السور السبع الطوال ولم يبين الراوي في هذه الآية المراد بالسبع الطوال ولكن جاء بيانها في رواية الحاكم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب رقم ٣٥١، حديث رقم ١٤٥٩.

(٢) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب تأويل قوله تعالى {ولقد آتيناك سبعا من المثاني}

والأعراف وسورة الكهف.

ثم قال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»
ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه الطبراني كذلك عن ابن عباس ذكره الحافظ الهيثمي
وقال: ورجاله رجال الصحيح^(٢).

وقد روي عن ابن عباس في تفسير الآية قول آخر وهو ما
أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق ابن جريج قال: أخبرني أبي أن
سعيد بن جبير أخبره قال ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي أم
القرآن، قال أبي: وقرأ علي سعيد بن جبير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
الآية السابعة، قال سعيد بن جبير: وقرأها علي ابن عباس كما قرأتها
عليك، ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة، قال ابن

(١) المستدرک ٢ / ٣٥٥ كتاب التفسير.

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ٤٦ كتاب التفسير.

عباس: فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.

ثم قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه الإمام الشافعي في مسنده والبيهقي في سننه^(٢).

وأخرجه الحاكم أيضًا من طريق آخر عن ابن جريج عن أبيه عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ

ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَافِي﴾ قال: فاتحة الكتاب، ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾ ١ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقلت لأبي: لقد أخبرك سعيد أن

ابن عباس قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية قال: نعم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه

(١) المستدرک کتاب فضائل القرآن ١ / ٥٥٠.

(٢) بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن ص ٧٤، سنن البيهقي كتاب

الصلاة باب الدليل على أن البسملة آية ٢ / ٤٤، ٤٥.

الذهبي على تصحيحه^(١).

فعلى هذا التفسير يكون المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وتكون البسمة آية منها، وهذا التفسير أرجح لما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المولى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فقال: ألم يقل الله ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال / ٢٤]؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته^(٢).

ومما يرجح هذا التفسير أيضاً أن بعض السور الطوال لم تنزل إلا

(١) المستدرک ٢ / ٢٥٧ كتاب التفسير.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٤ و ٤٧٠٣.

في المدينة وهذه الآية من سورة الحجر وهي مكة وقد يكون البعض الآخر نزل بعدها في مكة كما أخرج ابن جرير من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب - سبع آيات، قلت للربيع: إنهم يقولون السبع الطوال فقال: لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطوال شيء^(١).

وقد قيل إن سبب تسمية الفاتحة «مثنائي» هو كونها تنثني في كل ركعة من الصلاة أي تكرر وتعاد، وقد روى ذلك عن الحسن البصري وقتادة^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٥٥.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ٥٦.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ٩٠
 الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ٩١ فَوَرَّيْكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر / ٨٩ - ٩٣].

قال الإمام البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم [١٧٢]
 أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
 ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ قال: هم أهل الكتاب، جزؤوه أجزاء
 فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي
 الله عنهما ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا
 ببعض: اليهود والنصارى^(١).

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦، كتاب التفسير باب قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِينَ﴾ ورقم ٣٩٤٥ كتاب مناقب الأنصار باب إتيان اليهود النبي ﷺ.

وأخرجه الطبري والحاكم كما أخرجه الطبراني في الأوسط ذكره

الهيثمي^(١).

بيان المعنى:

من تفسير ابن عباس السابق الذي أخرجه الإمام البخاري تبين لنا أن المراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وأن معنى اقتسامهم أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه.

وقد روي عن ابن عباس في بيان المراد بالمقتسمين قول آخر وهو ما أخرجه محمد بن إسحاق وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا

(١) المستدرک ٢ / ٣٥٥، کتاب التفسير سورة الحجر.

مجمع الزوائد ٧ / ٤٦ کتاب التفسير تفسير الطبري ١٤ / ٦٢.

بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: أنت فقل وأقم لنا به رأياً نقول به، قال: لا بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان^(١) ولا بسجعهم، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا تخالجه^(٢) ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا بعقده، قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناء فما أنتم بقائلين من

(١) الزمزمة الكلام من غير تحريك الشفتين واللسان بحيث يكون الفم مطبقاً ومنه زمزمة الأعاجم وهي تراطنهم عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم - اللسان مادة زمم - .

(٢) أي تحركه يميناً وشمالاً يقال تخلص المجنون إذا تمايل في مشيته كأنها يجتذب يمينه ويسرة - اللسان مادة خلع .

هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله في الوليد وذلك من قوله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ وأنزل الله في أولئك النفر الذين كانوا معه ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي أصنافاً ﴿فَوَرَيْكَ لَسَّائِلَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١).

أقول: لا شك أن رواية البخاري السابقة أصح من هذه الرواية ولكن هذه الرواية أنسب لسياق الآيات حيث جاء في هذه الآيات ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ وهذا ينطبق على كفار مكة الذين وصفوا القرآن بأنه كهانة وسحر وشعر وقت نزول هذه الآيات، أما اليهود والنصارى فإن كان المراد بهم الذين سبقوا بعثة رسول الله ﷺ فلا ينطبق عليهم أنهم جزؤوا القرآن فأمنوا ببعضه وكفروا ببعض

(١) الدار المشور ٤ / ١٠٦، سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٨.

فلا بد من تأويل كلمة 'القرآن' بالمقروء حتى ينطبق على كتبهم وهذا خلاف الظاهر من الآية، وإن كان المقصود اليهود والنصارى المعاصرين للنبي ﷺ فلا تنطبق الآية عليهم لأنها مكية ولم يحصل الجدل مع اليهود والنصارى إلا في المدينة.

ومما يؤيد كون الآيات في المشركين قوله تعالى بعد هذه الآيات

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۚ ﴾ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ
 (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ فقد نزلت
 هذه الآيات في جماعة من كفار قريش كما روي ذلك عن ابن عباس.

قال السيوطي: وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس في قوله ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ قال: المستهزؤون: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عيطل السهمي والعاصي بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فقال أرني إياهم، فأراه الوليد فأوماً إلى أكحله، فقال: ما صنعت شيئاً، قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث

فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت شيئاً، قال: كفيته، ثم أراه الحارث فأومأ إلى بطنه، فقال: ما صنعت شيئاً، فقال: كفيته، ثم أراه العاصي بن وائل فأومأ إلى أخمصه، فقال: ما صنعت شيئاً، قال: كفيته، فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني ألا تدفعون عني قد هلكت فطعن بالشوك في عينيه فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه، وأما العاصي فركب إلى الطائف فريض على شبرقة^(١) فدخل في أخمص قدمه شوكة فقتلته^(٢).

(١) الشبرق نوع من النبات له ثمر فيه شوك واحدته شبرقه ويسمى شبرق ما دام رطباً فإذا

يبس يسمى الضريع - اللسان مادة شبرق -.

(٢) الدر المنثور ٤ / ١٠٧.

والظاهر أن المستهزئين هؤلاء هم المقتسمون المذكورون في الآية السابقة لأن سياق الآيات واحد ولأن الوليد بن المغيرة الذي كان زعيماً للمقتسمين كما جاء في الرواية السابقة عن ابن عباس هو زعيم المستهزئين أيضاً كما جاء في رواية أخرى أخرجها الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس: أن المستهزئين كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم^(١).

فهذا مما يؤيد كون المقتسمين جماعة من مشركي مكة.

وقد تبين من خبر المستهزئين أن العذاب الذي أنزله الله على المقتسمين كان عقوبة من الله لهم في الدنيا فأصيبوا جميعاً بعاهاات وأوجاع مؤلمة قبل أن يموتوا.

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٧٠.

وإسناد هذه الرواية ضعيف لأن فيه رجلاً مجهولاً كما أن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت غير معروف كما تقدم.

فقوله تعالى ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ معناه كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين، والمشبه محذوف يفهم من الكلام، والمعنى: وقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين أصروا على كفرهم وعنادهم أنا النذير الذي أبان إنذاره لكم أن يحل بكم عذاب من الله كالذي أنزله على المقتسمين.

وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي الذين فرقوا القول في القرآن فجعلوه أصنافاً فبعضهم قال عنه كهانة وبعضهم قال إنه سحر وبعضهم قال إنه شعر وبعضهم قال إنه هذيان جنون، فقوله ﴿عِضِينَ﴾ جمع عضو من قولهم عَضَيْتُ الشيءَ تَعْضِيَةً إذا فرقته كما قال رؤبة:

وليس دين الله بالمُعَضَّى

يعني بالمفروق^(١).

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٦٤، اللسان مادة (عضا).

وقيل إنه جمع عِصَّة وأصله عِصَّة ذهبت هاؤها الأصلية كما
 نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة، يقال
 منه عضهت الرجل أعضهه عضها إذا بهتته وقذفته ببهتان فيكون معنى
 الآية على هذا: الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو شعر أو كهانة
 ذكر ذلك ابن جرير ونسب هذا المعنى إلى قتادة^(١).

وسواء كان أصل الكلمة من التعضية بمعنى التفرقة أو من
 العضه بمعنى الكذب والبهتان فإن معنى الآية لا يختلف لأن
 المقتسمين من المشركين حصل منهم التفرق في الحكم على القرآن كما
 حصل منهم الكذب والبهتان في حكمهم عليه.

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٦٥.

﴿سورة النحل﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل / ١٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما [١٧٣] ﴿تُسِيمُونَ﴾^(١) ترعون.

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق عكرمة ومن طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله «﴿تُسِيمُونَ﴾ ترعون» يقال: أسام الماشية وسوّمها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهي سائمة وسوام رعت حيث شاءت،

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ٨٦.

وأصل ذلك على ما قال الزجاج السُّومَة وهي كالسَّمة العلامة لأن المواشي تؤثر علامات في الأرض والأماكن التي ترعاها^(١).

(١) تفسير الألوسي ١٤ / ١٠٦، لسان العرب (مادة سوم).

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
 الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿
 [النحل: ٤٥ - ٤٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فِي تَقْلُبِهِمْ﴾ [١٧٤]
 اختلافهم^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن
 عباس^(٢).

والمعنى أو يأخذهم في اختلافهم في الأرض وترددهم في
 الأسفار كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١١٢

﴿أَوْيَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ قال: إن شئت أخذته في سفر^(١).

وقوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ هم كفار أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ وحاولوا صد أصحابه عن الإيمان به واتباعه وأساءوا سمعته عند العرب وقوله ﴿الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي الذين مكروا المكرات السيئات التي قُصَّت عنهم، على أن ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ نعت لمصدر محذوف^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١١٢

(٢) تفسير البيضاوي ٢٩٢.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَنْفَيُّوا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل / ٤٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَنْفَيُّوا﴾ [١٧٥]

يتميل^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

بيان المعنى:

أصل الفيء الرجوع يقال فاء الظل إذا رجع^(٣)، وتفسير ابن

عباس التفيؤ بالتميل لتنقل الظل بين اليمين والشمال في الصباح

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١١٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن (مادة فياً).

والمساء، فهو يرجع من موضعه أول النهار ليعود إلى موضع آخر من آخر النهار.

وسجود الكائنات لله تعالى هو خضوعها التام لله تعالى حيث لا تخرج قيد شعره عن النظام الذي سنه الله تعالى لها.

وقوله ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ أي صاغرون متذللون، قال أبو عبيدة: أي صاغرون، يقال: فلان دخر الله أي ذل وخضع^(١).

وبهذا المعنى فسر مجاهد وقتادة أخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة^(٢).

(١) مجاز القرآن ١ / ٣٦٠.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١١٦.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل / ٦٧].

قال الإمام البخاري، قال ابن عباس: السكر ما حرم من ثمرتها، [١٧٦] والرزق الحسن ما أحل الله^(١).

وقد وصله ابن جرير من عدة طريق عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس وذكر مثله^(٢).

ووصله أيضاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكر مثله^(٣).

وأخرج البيهقي والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١٣٤.

(٣) تفسير الطبري ١٤ / ١٣٥.

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ قال: فحرم الله بعد ذلك السكر مع تحريم الخمر لأنه منها، قال ﴿وَرَزَقًا حَسَنًا﴾ فهو حلاله من الخل والرب والنبيذ وأشباه ذلك فأقره الله وجعله الله حلالاً للمسلمين^(١).

ومن هذه الرواية يتبين لنا أن هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وهو كذلك لأن سورة النحل مكية وتحريم الخمر نزل بعد ذلك في المدينة.

(١) السنن الكبرى ٨ / ٢٩٧، كتاب الأشربة، باب ما يحتج به من رخص في المسكر إذا لم يشرب منه ما يسكر والجواب عنه - تفسير الطبري ١٤ / ١٣٧.

ه - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ [النحل/ ٦٨ - ٦٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ [١٧٧] ذُلًّا لا يتوعر عليها مكان سلكته^(١).

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وذكر مثله^(٢).

وعلى هذا التفسير فقوله تعالى ﴿ذُلًّا﴾ وصف للسبل أي سبلاً ميسرة مسهلة.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١٤٠.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل / ٧٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَحَفَدَةً﴾ [١٧٨] من ولد الرجل^(١).

وأخرجه ابن جرير قال حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الصمد قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وَحَفَدَةً﴾ قال: هم الولد وولد الولد^(٢). وذكره ابن حجر في الفتح وقال إسناده صحيح^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١٤٦.

(٣) فتح الباري ٨ / ٣٨٦.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿وَحَفَدَةً﴾ أي مسارعين في خدمة الآباء من الأولاد وأولادهم من حفيد يحفد حفيدًا وحفيدانًا بمعنى خف وأسرع في العمل، ومنه ما روي في الدعاء «وإليك نسعى ونحفد» أي نسرع في العمل^(١).

وقول ابن عباس «من ولد الرجل» بيان للمراد من الحفدة وهم أولاد الرجل.

وروى عن ابن عباس أن المراد بالحفدة الأصهار، أخرج ذلك ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿وَحَفَدَةً﴾ قال: الأصهار.

وأخرجه ابن جرير من عدة طرق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٢).

(١) لسان العرب مادة (حفد).

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١٤٤.

وروى عن ابن عباس أن المراد بالحفدة بنو امرأة الرجل من غيره
أخرجه ابن جرير عنه من طريق العوفي^(١).

أقول وإذا نظرنا إلى كلمة 'حفدة' في اللغة نجد أنها جمع حافد
وهو المتخفف السريع في الخدمة والعمل. وهي في الآية معطوفة على
البنين فيقتضي ذلك أن الحفدة من جملة ما مَنَّ الله به على الرجال من
أزواجهم ليكونوا أعواناً لهم وهذا يشمل أولاد الزوج وأولادهم
وأولاد الزوجة من غير الزوج وأقاربها.

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٤٦.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل / ١٠٦ - ١١٠].

قال الإمام النسائي: أخبرنا زكريا بن يحيى قال: حدثنا إسحاق [١٧٩]

بن إبراهيم قال أنبأنا علي بن الحسين بن واقد قال أخبرني أبي عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: في سورة النحل ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فنسخ واستثنى من ذلك فقال ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ

جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان على مصر كان يكتب لرسول الله ﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ^(١).

بيان الإسناد:

- ١- زكريا بن يحيى هو أبو عبد الرحمن زكريا بن يحيى بن إياس السَّجَزِي، وهو ثقة حافظ.
- ٢- إسحاق بن إبراهيم هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، المعروف بابن راهويه، وهو ثقة حافظ مجتهد.
- ٣- علي بن الحسين بن واقد المروزي، صدوق يهم.
- ٤- وأبوه هو الحسين بن واقد المروزي، وهو ثقة له أوهام.

(١) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد ٧ / ١٠٧.

٥- ويزيد النحوي ثقة عابد.

٦- وعكرمة ثقة ثبت.

وقد تقدمت تراجم هؤلاء الرواة وتبين لنا سماع بعضهم من بعض.

وبهذا تبين لنا أن هذا الإسناد فيه علي بن الحسين وأبوه قد اتها بالوهم.

وقد رواه ابن جرير الطبري من طريق أبي ثُميلة يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري على أنه من قولهما.

ويحيى بن واضح ثقة كما تقدم فروايته مقدمة على رواية علي بن الحسين بن واقد، وبمخالفة علي بن الحسين لمن هو أوثق منه تكون روايته ضعيفة ولعل رفع هذا إلى ابن عباس من أوهام علي بن الحسين.

بيان المعنى :

في هذه الآيات تبين لنا أن من ارتد عن الإسلام فكفر بالله من بعد إيمانه غير مُكْرَه على الكفر بل قد شرح بالكفر صدرًا فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم.

وإنما عاقبه الله بهذه العقوبة العظيمة لفداحة جرمه، وشناعة ذنبه حيث فضل الكفر على الإيمان والضلال على الهدى، فاختر لنفسه أن يسير في الظلمات بعد ما عرف النور وسار في طريقه وأدرك مزاياه البالغة، فسلكه طريق الباطل بعد ما عرف طريق الحق دليل على انطماس بصيرته وجنوحه إلى إشباع شهواته المنحرفة، ولذلك قال تعالى في هذه الآيات ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

ومع فداحة هذا الذنب وفضاعة هذا الجرم فإن الله جل وعلا لم يجعل مرتكبه في يأس من رحمته فيما إذا راجع نفسه وفكر تفكيرًا سليمًا فأراد الدخول في الإسلام مرة أخرى، بل فتح له باب الأمل، وأدخله في رحمته الواسعة حيث قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ

هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ .

أما من أكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمئن بالإيمان فلا جناح
عليه؛ لأن المسلم قد يتعرض لأنواع من الأذى هي فوق احتمالها
وطاقته، ولذلك قال تعالى في هذه الآيات ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ .

هذا وقد جاء في حديث هذا الباب المنسوب إلى ابن عباس أن
قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ناسخ
لقوله تعالى في هذه الآيات ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ﴾ الآية،
وأن المراد بهذا النسخ التخصيص لقوله «واستثنى من ذلك».

وقد تبين لنا من بحث إسناد هذا الأثر أنه ضعيف، وأن
الصحيح هو أن هذا الكلام من قول عكرمة والحسن البصري كما في
رواية ابن جرير الطبري.

والآيات ليس فيها نسخ ولا تخصيص، وذلك لأن الآية الأولى وهي قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ عامة في كل من صدر منه هذا الكفر، فهي محكمة غير منسوخة، أما قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ فهي فيمن تاب من كفره ورجع إلى الإيمان وأن الله يتوب عليه، فلا يقال إن هذا الحكم مستثنى من حكم الآية الأولى، بل الآية الأولى فيمن كفر بعد إيمانه، والآية الثانية فيمن تاب من هذا الكفر.

والصحيح عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ هو ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، قال

وَكُتِبَ إِلَى مَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: أَنْ لَا عَذْرَ لَهُمْ، قَالَ:
فَخَرَجُوا فَلَحَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَاعْطَوْهُمْ الْفِتْنَةَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَمَنْ
الَّذِينَ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَكُتِبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَخَرَجُوا وَأَيْسُوا مِنْ كُلِّ
خَيْرٍ، ثُمَّ نَزَلَتْ فِيهِمْ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا
فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
فَكُتِبُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا فَخَرَجُوا فَأَدْرَكَهُمْ
الْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلُوهُمْ ثُمَّ نَجَا مِنْ نَجَا وَقَتْلَ مِنْ قَتْلٍ^(١).

وإسناد هذا الحديث صحيح كما تقدم^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٤.

(٢) انظر الحديث رقم (٩١).

﴿سورة الإسراء﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾

[الإسراء / ٢٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا يُبْذَرُ﴾ [١٨٠]

لا تنفق بالباطل^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس

قال: لا تنفق بالباطل فإن المبذر هو المسرف في غير حق^(٢).

وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق عكرمة ومن طريق العوفي

عن ابن عباس قال: المبذر المنفق في غير حقه^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٣.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ٧٣ - ٧٤.

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ٧٣ - ٧٤.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾ [الإسراء / ٥٠ - ٥١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَسَيُنْغِضُونَ [١٨١] إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يهزون^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة وعطاء الخراساني وعطية العوفي عن ابن عباس قال: يركون رؤوسهم يستهزئون ويقولون متى هو^(٢)؟

بيان المعنى:

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، الباب الأول.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٠٠.

صُدُّورِكُمْ﴾ يعني إذا كنتم قد استنكرتم البعث بعد الموت واستبعدتم وقوعه فافرضوا أن أجسامكم خلقت من مادة أصلب مما هي عليه الآن، فكونوا حجارة فإن الحجارة أصلب من أجسامكم أو كونوا حديدًا، فإن الحديد أصلب من الحجارة، أو كونوا خلقًا آخر مما يخطر ببالكم أنه أكبر من الحجارة والحديد فإن الله جل وعلا قادر على إعادة الحياة إلى أجسامكم بعد الموت.

والخطاب في قوله ﴿كُونُوا﴾ يعود على الكفار الذين كانوا يجادلون رسول الله ﷺ وهم الكفار من أهل مكة.

وقوله ﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يعني يحركونها استهزاء كما قال ابن عباس، والנגض في كلام العرب إنما هو حركة ارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمى الظليم نغضًا لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض رأسه. والظليم ذكر النعام^(١).

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٠٠ ولسان العرب (مادة نغض).

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ^٤ وَءَايِنَا
ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا^٥ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ [الإسراء/
٥٩].

قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن [١٨٢]
الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير قال: سأل أهل مكة
النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا،
فقال له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن
كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم من الأمم، قال: لا بل أستأني
بهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ
كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ^٤ وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾^(١).

(١) مسند أحمد ١ / ٢٥٨.

بيان الإسناد:

- ١- عثمان بن محمد هو أبو الحسن بن أبي شيبة صاحب المسند، وهو ثقة حافظ شهير.
- ٢- جرير هو ابن عبد الحميد الضبي، وهو ثقة صحيح الكتاب، وكان في آخر عمره يهتم من حفظه.
- ٣- الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي، وهو ثقة حافظ.
- ٤- جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير. وقد تقدمت تراجمهم.
- فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض^(١)، فإسناد الحديث على هذا صحيح.
- وأخرجه الإمام أحمد أيضًا من طريق أبي الحكم عمران بن الحارث عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: أدع لنا ربك أن

(١) انظر تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٩ رقم ٢٩٨، ٣/ ٧٥ رقم ١١٦، ٨٣ رقم ١٢٩.

يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب الرحمة والتوبة^(١).

وقد ذكر الهيثمي هاتين الروایتين في مجمع الزوائد ثم قال: ورجال الروایتين رجال الصحيح إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم وهو وهم وفي بعضها عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح، ورواه البزار بنحوه^(٢).

أقول: وأخرجه الحاكم من طريق جرير بن عبد الحميد بهذا الإسناد الذي أخرجه به الإمام أحمد وذكر مثله .. ثم قال: «هذا

(١) مسند أحمد ١ / ٢٤٢.

(٢) مجمع الزوائد، كتاب التفسير ٧ / ٥٠.

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي^(١).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق جرير بن عبد الحميد بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿وَأَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي وآتينا قبيلة ثمود الناقة آية واضحة على صحة نبوة صالح عليه السلام يبصر كونها آية من الله كل من نظر إليها.

قال ابن جرير: جعل الإبصار للناقة كما تقول للشجرة موضحة وهذه حجة مبينة، وإنما عنى بالمبصرة المضيئة البينة التي من يراها يكون أهل بصر بها لأنها لله حجة^(٣).

(١) المستدرک، کتاب التفسیر ٢ / ٣٦٢.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٠٨.

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ١٠٩.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس / ٦٧].

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء / ٦٠].

قال الإمام البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن [١٨٣]

عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ قال: هي شجرة الزقوم ^(١).
وأخرجه الحاكم والترمذي وأخرج منه الإمام أحمد تفسير الرؤيا فقط ^(٢).

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧١٦ كتاب التفسير باب ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا

فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ورقم ٣٨٨٨ كتاب مناقب الأنصار باب المعراج، ورقم ٦٦١٣ كتاب القدر باب ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾.

(٢) المستدرک ٢ / ٣٦٢، كتاب التفسير، سورة الإسراء - مسند أحمد ١ / ٢٢١، سنن الترمذي كتاب التفسير سورة الإسراء حديث رقم ٣١٣٤.

بيان المعنى:

قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ الرؤيا في الأصل ما يراه الإنسان في منامه وتطلق على الرؤية في اليقظة كما قال الراعي:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساً كان قبل يلومها^(١)

وعلى هذا المعنى فسر ابن عباس الرؤيا في الآية بأنها ما رآه النبي ﷺ ليلة أسري به، وقوله «هي رؤيا عين» أراد بذلك أنها ليست رؤيا في المنام، وقد جاء ذلك مصرحاً به في إحدى روايات هذا الحديث التي أخرجه الطبري من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به وليست رؤيا منام^(٢).

وهذا من الأدلة التي تؤيد القول بأن الإسراء كان بالروح

(١) لسان العرب مادة (رأى).

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١١٠.

والجسد وليس من الرؤيا في المنام.

والمراد بالفتنة في الآية الابتلاء والاختبار بهذا الأمر الخارق للعادة، وهو الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ورجوعه في ليلة واحدة، فالمؤمنون حقاً يصدقون بذلك فيزداد إيمانهم حيث صدقوا بأمر لم تدركه عقولهم وإنما أخبرهم به النبي ﷺ فصدقوه، أما ضعفاء الإيمان والمتأرجحون بين الإيمان والكفر فإن مثل هذا الحدث يبين حقيقة معتقدتهم وما تستقر عليه آراؤهم فلا ينخدع بهم المسلمون بعد ذلك، كما يعتبر هذا الحدث فتنة للكفار حيث يزيد من إصرارهم على الكفر.

وقد روي عن ابن عباس في تفسير الرؤيا في الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: يقال إن رسول الله ﷺ أري أنه دخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة، فعجل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل فردّه المشركون فقالت أناس: قد رد رسول الله ﷺ وكان قد حدثنا أنه سيدخلها فكانت رجعتة

فتنتهم^(١).

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم^(٢) فيرجح عليه الحديث السابق الذي أخرجه الإمام البخاري وغيره.

كما أن سورة الإسراء مكية والرؤيا التي رآها النبي ﷺ وهي أنه سيدخل مكة هو وأصحابه كانت في العام السادس من الهجرة وقد نزل فيها قوله تعالى من سورة الفتح ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رِءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾

قوله تعالى ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال ابن عباس في هذا الحديث «هي شجرة الزقوم» وقد ذكرها الله سبحانه في سورة الواقعة فقال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١١٢.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

فَالْتَوْنَهَا الْبُطُونُ ﴿٥١ - ٥٣﴾ وفي قوله تعالى في سورة الدخان ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٣ - ٤٦﴾ وبينها الله سبحانه بقوله في سورة الصافات أَدْلَكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَهَا فَتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٢ - ٦٥﴾ وقوله ﴿وَالشَّجَرَةَ﴾ معطوف على «الرؤيا» فهي تدخل معها في كونها فتنة للناس وإنما كانت هذه الشجرة فتنة للناس لأن المشركين حاولوا زعزعة إيمان المؤمنين بالإسلام وصد الناس عن الدخول فيه وذلك بقولهم: إن محمداً يزعم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر، فقد أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قال في هذه الآية: وهي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده فافتتنوا بذلك حتى قال قائلهم، أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فتزقوموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ

رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿ : إني خلقتها من النار وعذبت بها من شئت من عبادي.

وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن البصري^(١).

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١١٣، ١١٤.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾
[الإسراء / ٦٥].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل سلطان [١٨٤] في القرآن فهو حجة^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو ابن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا على شرط الصحيح^(٢).

بيان المعنى:

قوله «كل سلطان في القرآن فهو حجة» يعني إذا جاءت كلمة «سلطان» في القرآن فالمراد بها الحجة، وذلك مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾
عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٢.

(٢) فتح الباري ٨ / ٣٩٠.

[يونس / ٦٨] وقوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾
 [هود / ٩٦] وقوله ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦) فَأَتُوا بِكَنِيكُمُ إِن كُنتُمْ
 صَادِقِينَ [الصافات / ٣٠].

وما جاء من الآيات مما ظاهره أن المراد بالسلطان القوة والملك
 كقوله تعالى ﴿يَمْعَشَرُ الْيَمِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن / ٣٣] فإن
 المراد به على تفسير ابن عباس الحجة كما أخرج ذلك ابن جرير عنه من
 طريق العوفي في تفسير هذه الآية^(١).

وقد ذكر ابن جرير القول بأن المراد بالسلطان في هذه الآية
 الحجة والقول بأن المراد به الملك ثم رجح القول الأول حيث قال:
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك: إلا بحجة
 وبينة لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب وقد يدخل الملك

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٣٧.

في ذلك لأن الملك حجة^(١).

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الأثر في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لأن ظاهر هذه الآية يفهم منه أن المراد بالسلطان القوة والهيمنة فبين الإمام البخاري بإخراج هذا الأثر عن ابن عباس أن المراد بالسلطان الحجة والبرهان.

وقال الإمام ابن جرير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس ليس لك عليهم حجة^(٢).

وقال ابن منظور في بيان معنى السلطان: والسلطان الحجة والبرهان ولا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر، وقيل إنه مشتق من

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٣٨.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٢١.

السليط وهو ما يضاء به ومنه قبل للزيت سليط، وسمى السلطان الحاكم بذلك لأنه حجة الله في أرضه^(١).

(١) لسان العرب (مادة سلط).

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء / ٦٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ تَبِيعًا ﴾ [١٨٥] نصيرًا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿ تَبِيعًا ﴾ والتببع هو التابع الذي يتبع المعتدي ليأخذ بثأره منه، والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره تببع، ومنه قول الشاعر:

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٤.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٢٥.

عَدُوا وَعَدَّتْ غَزْلَانَهُمْ فَكَأَنَّهُمَا ضَوَامِنْ غُرْمٍ لَزَّهْنٍ تَبِيعُ^(١)

ومن هذا المعنى فسر ابن عباس التبيع في الآية بالنصير.

وضمير الغيبة في قوله تعالى ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾

يعود على البحر المذكور في قوله تعالى في الآيات السابقة ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٦٧﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ٦٨ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ يعني في البحر مرة أخرى بعد أن نجاكم الله منه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ يعني نصيرًا ينتصر لكم.

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٥٤، لسان العرب (مادة تبع)، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٣٨٥.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء / ٧٨].

أخرج الإمام مالك عن داود بن الحصين قال: أخبرني مخبر أن [١٨٦] عبد الله بن عباس كان يقول: دلوك الشمس إذا فاء الفياء وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته^(١).

بيان الإسناد:

أخرج الإمام مالك هذا الأثر عن أبي سليمان داود بن الحصين المدني الأموي بالولاء، وهو ثقة إلا في روايته عن عكرمة^(٢). لكنه قد أبهم شيخه في هذا الإسناد فلم يذكر الراوي عن ابن عباس فالإسناد منقطع، ويكون هذا الأثر ضعيفاً بهذا الإسناد.

(١) الموطأ ١ / ١١، كتاب وفوت الصلاة، باب ما جاء في دلوك الشمس.

(٢) التقريب ١ / ٢٩٩ رقم ٥، الكاشف ١ / ٢٨٧، الخلاصة ١٠٩.

وأخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق الإمام مالك بهذا الإسناد^(١).

لكن أخرجه ابن جرير الطبري من طريق آخر، قال: حدثني [١٨٧] يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ قال: دلوكها زوالها^(٢).

بيان هذا الإسناد:

١- يعقوب بن إبراهيم هو أبو يوسف الدورقي العبدي بالولاء، وهو ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله ست وتسعون سنة، وقد أخرج له الجماعة^(٣).

(١) مصنف ابن أبي شيبة كتاب الصلاة ٢ / ١٣٥، سنن البيهقي كتاب الصلاة، باب أول فرض الصلاة ١ / ٣٦٤.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ٥٠٥ رقم ٥٢١، التقريب ٢ / ٣٧٤ رقم ٣٧٠.

٢- هشيم هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار الواسطي، وهو ثقة ثبت حافظ لكنه كثير التدليس والإرسال الخفي، وهو من المرتبة الثالثة في التدليس، ومن الطبقة السابعة بالنسبة لتاريخ الرواة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة وقد قارب الثمانين، وقد أخرج له الجماعة^(١).

٣- مغيرة هو ابن مقسم الضبي بالولاء، أبو هشام الكوفي الأعمى، وهو ثقة متقن إلا أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم النخعي، وهو من المرتبة الثالثة، من مراتب المدلسين، ومن الطبقة السادسة بالنسبة لتاريخ الرواة، مات سنة ست وثلاثين ومائة على الصحيح، وقد أخرج له الجماعة^(٢).

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٨ رقم ٢٣٥، التقريب ٢ / ٣٢٠ رقم ١٠٣، طبقات المدلسين

المرتبة الثالثة ص ١٦.

(٢) التقريب ٢ / ٢٧٠ رقم ١٣٢٨، تذكرة الحفاظ ١ / ١٤٣ رقم ١٣٦، طبقات المدلسين

المرتبة الثالثة ص ١٦.

٤- الشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، منسوب إلى «شعب» بطن من همدان، وهو ثقة فقيه فاضل مشهور، أثنى عليه كبار العلماء، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، وكان سريع الحفظ، قال ابن شبرمة: سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا حدثني بحديث فأحببت أن يعيده علي، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة^(١).

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(٢).

ومن هذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات إلا أن فيه راويين متهمين بالتدليس هما هشيم والمغيرة بن مقسم ولم يصرحا بالسماع وهما من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهذه الطبقة قد اختلف

(١) التقريب ١ / ٣٨٧ رقم ٤٦، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٩ رقم ٧٦، اللباب في تهذيب

الأنساب ٢ / ١٩٨، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥ رقم ١١٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١١ / ٣٨١ رقم ٧٤٢، ١١ / ٥٩ رقم ١٠٠، ١٠ / ٢٦٩ رقم ٤٨٢،

٥ / ٦٥ رقم ٢١٠.

العلماء في قبول أحاديث من لم يصرح بالسماع منهم كما ذكر الحافظ ابن حجر^(١).

إلا أنه يعتبر مقوياً لحديث الإمام مالك السابق فيصبح الحديث حسن الإسناد.

بيان المعنى:

تبين لنا من هذا الأثر أن ابن عباس يرى أن المراد بدلوك الشمس زوالها.

وقد روي عنه أن المراد به غروبها وذلك فيما أخرجه ابن جرير [١٨٨] قال: حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال: دلوها غروبها^(٢).

(١) طبقات المدلسين لابن حجر ص (١).

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٤.

وإسناد هذا الأثر حسن^(١).

وإسناد القول الأول حسن لغيره كما تقدم فهما متقاربان من حيث القوة.

ولكن مما يؤيد القول بأن الدلوک هو الزوال ما أخرجه ابن جرير [١٨٩]

قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا خالد بن مخلد قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثني يحيى بن سعيد قال حدثني أبو بكر بن عمرو بن

(١) بيان هذا الإسناد:

١- الحسن بن يحيى هو الجعدي أبو علي بن أبي الربيع الجرجاني وهو صدوق من الطبقة الحادية عشرة (التقريب ١ / ١٧٢ رقم ٣٢٥).

٢- عبد الرزاق ثقة حافظ تقدمت ترجمته.

٣- والثوري ثقة حافظ تقدمت ترجمته.

٤- ومنصور هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي، وهو ثقة ثبت مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢ / ٢٧٦ رقم ١٣٩٢).

ومجاهد ثقة تقدمت ترجمته.

وهذا تبين لنا أن رجال هذا الحديث ثقات ما عدا الحسن بن يحيى العبدی فهو صدوق، وعلى هذا يكون هذا الحديث حسن الإسناد.

حزم الأنصاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ «أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر»^(١).

وإسناد هذا الحديث حسن لأن فيه خالد بن مخلد القطواني وهو صدوق، وقد نسب إليه التشيع ولكنه لم يرو هنا ما يؤيد بدعته^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٧.

(٢) بيان إسناد هذا الحديث

١- أبو كريب هو محمد بن العلاء الهمداني وهو ثقة حافظ، تقدمت ترجمته.

٢- خالد بن مخلد هو القطواني أبو الهيثم البجلي بالولاء الكوفي، وهو صدوق يتشيع، من كبار الطبقة العاشرة مات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل بعدها. أخرج له الشيخان وغيرهما (التقريب ١ / ٢١٨ رقم ٧٩).

٣- محمد بن جعفر هو ابن أبي كثير المدني الأنصاري بالولاء، وهو ثقة من الطبقة السابعة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢ / ١٥٠ رقم ١٠٥).

٤- يحيى بن سعيد هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري النجاري وهو ثقة حافظ أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيقه من الطبقة الخامسة، أخرج له الجماعة.

فهذا الحديث يؤيد قول ابن عباس الأول في أن المراد بدلوك الشمس زوالها.

وأصل الدلوك في اللغة الميل وهو يطلق على ميل الشمس عن كبد السماء بعد الظهر ويطلق على ميلها نحو الغروب ذكر ذلك ابن منظور ثم نقل عن الأزهري أنه قال: والقول عندي أن دلوك الشمس زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، والمعنى والله أعلم: أقم الصلاة يا محمد أي أدها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل فيدخل فيها الأولى والعصر، وصلاتا غسق الليل هما

=

(التقريب ١١ / ٢٢١ رقم ٣٦٠، تذكرة الحفاظ ١ / ١٣٧ رقم ١٣٠).

وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ثقة عابد، من الطبقة الخامسة (التقريب ٢ / ٣٩٩ رقم ٦٩).

وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري صحابي جليل شهد بدرًا رضي الله عنه (التقريب ٢ / ٢٧ رقم ٢٤٩).

وإسناد هذا الحديث متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٣ / ١١٦ رقم ٢٢١، ٩ / ٩٤ رقم ١٢٦، ١٢ / ٣٨ رقم ١٥٤).

العشاءان، والخامسة قوله ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ ، المعنى: وأقم صلاة الفجر فهذا خمس صلوات فرضها الله على نبيه ﷺ وعلى أمته، وإذا جعل الدلوك الغروب كان الأمر في هذه الآيات مقصوراً على ثلاث صلوات^(١).

قوله «وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته» يعني بقوله «اجتماع الليل» اجتماع ظلامه بعد نور النهار كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «غسق الليل: بُدُوُ الليل»^(٢) قال الفراء «غسق الليل» أول ظلمته للمغرب والعشاء^(٣).

وقال ابن جرير: غسق الليل هو إقباله ودنوه وظلامه كما قال

الشاعر:

(١) لسان العرب (مادة ذلك).

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٨ وإسناده حسن كما تقدم في ص ٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٢٩.

آب هذا الليل إذ غسقا^(١).

وعلى هذا فالمراد بالصلاة التي تقام في غسق الليل هي صلاة المغرب والعشاء.

وقوله «وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ» يعني صلاة الفجر كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى «وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ» أنه قال: يعني صلاة الصبح^(٢).

قوله «إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار، كما أخرج ابن جرير قال حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي قال حدثني أبي عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود، وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية «وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ^طإِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» قال تشهد ملائكة

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٨.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٤٠ وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم في الحديث رقم (٣٥).

الليل وملائكة النهار^(١).

وأخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

وأخرجه الترمذي بهذا الإسناد إلى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر مثله، ولم يذكر رواية الأعمش عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود^(٣).

فهذا الحديث رواه هؤلاء الأئمة بإسناد واحد عن عبيد بن أسباط بن محمد القرشي عن أبيه عن الأعمش.

ثم رواه الأعمش عن النبي ﷺ من طريقين الأول عن إبراهيم [١٩٠] النخعي عن ابن مسعود^(٤). والثاني عن أبي صالح عن أبي هريرة^(٤).

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة الفجر، حديث رقم ٦٧٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الإسراء، حديث رقم ٣١٣٥.

(٤) بيان هذا الإسناد:

ومن تراجم هذا الإسناد تبين لنا أن هذا الأثر منقطع الإسناد حيث لم يسمع إبراهيم النخعي من ابن مسعود ولم يسمع أبو صالح من أبي هريرة فيكون هذا الأثر على هذا ضعيفاً إلا أن الأئمة صححوا

=

١- عبيد بن أسباط هو أبو محمد عبيد بن أسباط الكوفي القرشي بالولاء وهو صدوق من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة خمسين ومائتين، أخرج له الترمذي وابن ماجه والبخاري في جزء القراءة (التقريب ١ / ٤٥١ رقم ١٥٣١).

٢- وأبوه أسباط بن محمد بن عبد الرحمن القرشي بالولاء، ثقة ضعف في الثوري، من الطبقة التاسعة مات سنة مائتين أخرج له الجماعة (التقريب ١ / ٥٣ رقم ٣٦١).

٣- والأعمش سليمان بن مهران ثقة يدلّس، وقد سبقت ترجمته.

٤- وإبراهيم هو ابن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي وهو ثقة فقيه إلا أنه يرسل كثيراً، من الطبقة الثانية مات سنة ست وتسعين، وهو ابن خمسين أو نحوها، أخرج له الجماعة (التقريب ١ / ٤٦ رقم ٣٠١).

٥- وأبو صالح هو عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وقد مضى وهذا الإسناد متصل إلى إبراهيم النخعي وأبي صالح (انظر تهذيب التهذيب ٧ / ٥٨ رقم ١١٨، ١ / ٢٢١ رقم ٣٩٥، ٤ / ٢٣٢ رقم ٣٧٦) ولكن إبراهيم النخعي لم يسمع من ابن مسعود (انظر تهذيب التهذيب ١ / ١٧٧ رقم ٣٢٥) وأبا صالح لم يسمع من أبي هريرة (تهذيب التهذيب ٥ / ٢٥٦ رقم ٤٤٨).

مرسلات النخعي وخص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود،
وقال الأعمش قلت لإبراهيم أسند لي عن ابن مسعود فقال إبراهيم
إذا حدثكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت وإذا قلت قال
عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله^(١).

ورجال هذا الإسناد من طريق النخعي ثقات ما عدا عبيد بن
أسيب فهو صدوق فيكون الإسناد على هذا حسناً.

(١) تهذيب التهذيب ١ / ١٧٧.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [الإسراء / ٨٠].

قال الإمام الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا جرير عن [١٩٠] قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ هذا حديث حسن صحيح^(١).

بيان الإسناد:

١- أحمد بن منيع هو أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي الأصم، صاحب المسند وهو ثقة حافظ من الطبقة العاشرة، مات سنة أربع وأربعين ومائتين وله أربع وثمانون سنة، وقد أخرج له

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الإسراء، حديث رقم ٣١٣٩.

الجماعة^(١).

٢- جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبعي، ثقة صحيح الكتاب، وقيل كان في آخر عمره يهم من حفظه، مات سنة ثمان وثمانين ومائة، وله سبعون سنة، وقد أخرج له الجماعة^(٢).

٣- قابوس بن أبي ظبيان الجنبى، فيه لين، وذكره الإمام الذهبي مع الضعفاء، وهو من الطبقة السادسة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه^(٣).

٤- وأبوه هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبى وهو ثقة من الطبقة الثانية مات سنة تسعين وقيل غير ذلك وقد أخرج له الجماعة^(٤).

(١) التقريب ١ / ٢٧ رقم ١٢٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٤٨١ رقم ٤٩٦.

(٢) التقريب ١ / ١٢٧ رقم ٥٦، الخلاصة / ٦١.

(٣) التقريب ٢ / ١١٥ رقم (١)، المغني في الضعفاء للذهبي رقم ٤٩٧٥، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي رقم ٣٤٠٢.

(٤) التقريب ١ / ١٨٢ رقم ٤٠٧، الخلاصة / ٨٥.

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(١) إلا أن فيه ضعفاً لضعف قابوس بن أبي ظبيان ولكنه صالح للاعتبار، ولم أجد له شاهداً يقويه.

وقد أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي من طريق جرير بن عبد الحميد عن قابوس بن أبي ظبيان بهذا الإسناد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي^(٢).

وأبو عبد الله الحاكم قد عرف عنه التساهل في التصحيح رحمه الله ولكن في موافقة الإمام الذهبي إياه غرابة لأنه يضعف قابوس بن أبي ظبيان كما سبق في ترجمته، فحديثه لا يرتفع إلى الصحة ولو اعتضد بالشواهد، وإنما لو وجد شاهد له يرتفع إلى الحسن فقط.

(١) تهذيب التهذيب ١ / ٨٤ رقم ١٤٤، ٨ / ٣٠٥ رقم ٥٥٣، ٢ / ٣٧٩ رقم ٦٥٤.

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٣٣ - المستدرک ٣ / ٣ كتاب الهجرة.

سنن البيهقي ٩ / ٩ كتاب السير باب الإذن بالهجرة.

بيان المعنى :-

تبين لنا مما جاء في الحديث أن سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ كان هجرة النبي ﷺ إلى المدينة فيكون المراد بقوله ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ دخوله إلى المدينة وقوله ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ خروجه من مكة.

وقد روي عن ابن عباس في تفسير الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني بالإدخال: الموت والإخراج: الحياة بعد الموت^(١).

هذا الإسناد ضعيف كما تقدم^(٢)، والقول الأول أنسب لسياق الآيات لقوله تعالى قبل هذه الآية بثلاث آيات ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٤٨.

(٢) أنظر الحديث رقم (٣٥).

قِيلَ ﴿ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَشْرُكِي قَرِيْشٍ لِّمَا أَرَادُوا إِخْرَاجَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَمَا بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ تَوْجِيهَاتٍ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﷺ لِتَثْبِيْتِهِ عَلَى الْحَقِّ، وَجَاءَ مِنْ ضَمَنِ هَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ .

وقد اختار ابن جرير هذا القول ووجهه بمناسبته لسياق الآيات^(١).

وقوله تعالى ﴿ وَأَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بالرغبة إليه في أن يهيئ له القوة التي ينتصر بها للحق من الباطل.

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٥٠ .

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء / ٨٥].

قال الإمام الترمذي حدثنا قتيبة أخبرنا يحيى بن زكريا بن أبي [١٩١] زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، قالوا: أوتينا علماً كبيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كبيراً فأنزلت ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ إلى آخر الآية «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»^(١).

(١) سنن الترمذي، كتب التفسير، سورة الإسراء، حديث رقم ٣١٤٠.

بيان الإسناد:

١ - قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني، وهو ثقة ثبت، من الطبقة العاشرة، مات سنة أربعين ومائتين عن تسعين سنة، وقد أخرج له الجماعة^(١).

والبغلاني منسوب إلى بغلان وهي بلدة بنو احي بلخ^(٢).

٢ - يحيى بن زكريا بن أبي زائدة أبو سعيد الهمداني الكوفي، وهو حافظ ثقة متقن فقيه، من كبار الطبقة التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة، وله ثلاث وتسعون سنة، وقد أخرج له الجماعة^(٣).

٣ - داود بن أبي هند، ثقة متقن، وقد تقدمت ترجمته^(٤).

٤ - عكرمة مولى ابن عباس ثقة ثبت تقدمت ترجمته^(٥).

(١) القريب ٢ / ١٣٢ رقم ٨٥.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١ / ١٦٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٦٧ رقم ٢٥٢، التقريب ٢ / ٣٤٧ رقم ٦٣.

(٤) انظر الحديث رقم (٤٩).

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات، وقد سمع بعضهم من بعض^(٢).

وبناء على هذا يكون هذا الإسناد صحيحًا.

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى رواية الإمام الترمذي هذه ثم

قال: ورجاله رجال مسلم^(٣).

وقد أخرجه الإمام أحمد بهذا الإسناد وذكر مثله^(٤).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق قتيبة بن سعيد بهذا

الإسناد وذكر مثله، وقد صححه ووافقه الإمام الذهبي^(٥).

=

(١) انظر الحديث رقم (٥٠).

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٨ رقم ٦٣٩، ١١ / ٢٠٨ رقم ٣٤٩، ٣ / ٣٠٤ رقم ٣٨٨.

(٣) فتح الباري ٨ / ٤٠١.

(٤) مسند أحمد ١ / ٢٥٥.

(٥) المستدرک، کتاب التفسیر، سورة القدر ٢ / ٥٣١.

بيان المعنى:

من هذا الحديث تبين لنا أن قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(١) نزلت بسبب طلب قريش من اليهود شيئاً يسألون رسول الله ﷺ عنه فقالوا لهم: سلوه عن الروح فسأله فنزلت هذه الآية.

ولكن أخرج الإمام البخاري من طريق علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث -وهو متكئ على عسيب- إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه^(٢)، وقال بعضهم: لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه، فقالوا:

(١) قوله «ما رابكم إليه» قال ابن حجر: كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب ويقال فيه رابه كذا وأرابه كذا بمعنى، قال وقال الخطابي: الصواب ما أربكم -بتقديم الهمزة وفتحيتين- من الأرب وهو الحاجة، قال ابن حجر: وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية، نعم رأيت في رواية المسعودي عن الأعمش عند الطبري كذلك - فتح الباري ٤٠٢ / ٨.

أقول: والذي جاء في رواية الطبري التي أشار إليها ابن حجر «فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون؟» تفسير الطبري ١٥ / ١٥٥.

سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

فهذه الرواية يفهم منها أن هذه الآية نزلت في المدينة بسبب سؤال اليهود، وهذا يتعارض مع ما يفهم من الرواية السابقة حيث كان السؤال من مشركي قريش في مكة.

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا التعارض بقوله: «ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح»^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ١٣.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٠١.

وذهب ابن كثير أيضًا إلى الجمع بينهما بتعدد النزول^(١) وهذا الذي ذهب إليه الحافظ ابن حجر وابن كثير هو الظاهر حتى يمكن الأخذ بالحديثين معًا ما داموا صحيحين.

وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس في المراد بالروح في الآية فروي عنه أن المراد بها الروح التي في الجسد وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال: وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا ما الروح؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله عز وجل؟^(٢).

وروي عنه أن المراد بها ملك من الملائكة، وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في هذه الآية: الروح ملك^(٣).

(١) تفسير الطبري ٣ / ٦٥.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٥٦.

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ١٥٦.

والظاهر أن القول الأول أرجح لأن المتبادر عند إطلاق كلمة الروح أنها التي في الجسم ولا تخرج إلى معنى آخر إلا إذا دل السياق على ذلك كقوله تعالى في جبريل عليه السلام ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء / ١٩٣].

وقوله تعالى عن الوحي إلى رسله عليهم السلام ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر / ١٥].

وقوله تعالى عن القرآن ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى / ٥٢].

١٠ - ما جاء في قوله تعالى

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ^ط زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء / ٩٧].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿خَبَتْ﴾ طفئت^(١). [١٩٢]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال: سكنت^(٢).

وأخرجه أيضًا من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كلما

أحرقتهم تسعر بهم حطبًا، فإذا أحرقتهم فلم تبق منه شيئًا صارت

جمراً تتوهج فذلك خُبُّها فإذا بدلوا خلقًا جديدًا عاودتهم.

وقال الراغب الأصفهاني في معنى هذه الكلمة: خبت النار تخبو

سكن لهبها وصار عليها خباء من رماد أي غشاء، وأصل الخباء

الغطاء الذي يتغطى به^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٤.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٦٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن / ١٤٢.

١١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء / ١١٠].

قال الإمام البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم [١٩٣]

حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ قال: نزلت ورسول الله مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١).

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٧٢٢، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ ورقم

٧٤٩٠، كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ ورقم ٧٥٤٧،

كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ «الماهر بالقرآن».

وأخرجه الإمام مسلم والترمذي والنسائي وأبو عوانة والبيهقي
من طريقين^(١).

بيان المعنى:

تبين لنا من هذا الحديث أن قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ نزل في وقت كان رسول الله ﷺ يخفي دعوته عن قريش وأنه كان إذا رفع صوته بالقرآن سمع ذلك المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، وإذا أسر بقراءته لم يسمعه أصحابه فأمره الله تعالى بالقراءة بين ذلك حتى يسمعه أصحابه ولا يسمعه المشركون.

(١) صحيح مسلم، رقم ٤٤٦، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة.

سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم ٣١٤٥.

سنن النسائي ٢ / ١٧٧، كتاب الافتتاح، باب قوله عز وجل {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا}.

مسند أبي عوانة ٢ / ١٢٣، باب النهي عن رفع الإمام صوته.

السنن الكبرى ٢ / ١٨٤، كتاب الصلاة، باب الاختيار للإمام والمأموم في أن يخفيا الذكر

و ٢ / ١٩٥ كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح.

وليس المقصود بقوله ابن عباس «نزلت ورسول الله مختلف بمكة» أنها نزلت في الفترة التي كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام فيها سرًّا لأن المشركين في تلك الفترة لم يكونوا يسمعون القرآن بل نزلت بعد ذلك حينما استحكمت عداوتهم للإسلام، وإنما يقصد ابن عباس بقوله هذا أن رسول الله ﷺ لم يكن وهو في مكة يستطيع الظهور التام بدعوته في جميع أحواله.

ولم يكن الناس يستطيعون الاتصال به بالشكل الذي أصبح عليه بعد هجرته إلى المدينة.

ومن سبب النزول هذا تبين لنا أن حكم الآية مرتبط بفترة من فترات الإسلام وأن الأمر بالقراءة في الصلاة بين الجهر والإخفاء متعلق بغرض من أغراض الدعوة إلى الله فيبقى حكم الآية ساريًا فيما يماثل تلك الفترة، أما في فترات الأمن من الأعداء فيعمل بالأدلة الأخرى التي تحدد كيفية القراءة في الصلاة.

ومما يدل على أن حكم الآية لا يطلب تطبيقه في جميع الأوقات ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد

قال حدثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين إذا سمعوه ... ثم ذكر الحديث السابق وفي آخره، ﴿وَأَبْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ يقول: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقاً لا جهراً شديداً ولا خفضاً لا تسمع أذنيك فذلك القدر، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة سقط هذا كله، يفعل الآن أي ذلك شاء^(١).

وهذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه بشر بن عمار الخثمي وهو ضعيف^(٢).

فقول ابن عباس «فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة سقط هذا

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٨٥.

(٢) انظر رقم ٤، وقد ذكر اسمه في تفسير ابن جرير المطبوع «بشر بن عمار» وهو خطأ صوابه «بشر بن عمار» كما تقدم في سورة البقرة.

كله» دليل على أن حكم هذه الآية مقيد بالدواعي التي دعت إليه فلما زالت هذه الدواعي زال هذا الحكم.

وقوله «يفعل الآن أي ذلك شاء» مقيد بالأدلة الأخرى التي تبين مشروعية الجهر في بعض الصلوات والإسرار في البعض الآخر.

وقد روي عن ابن عباس في بيان سبب نزول الآية قول آخر [١٩٤] وهو ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا وأبوا أن يسمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فإن خفض رسول الله ﷺ صوته لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله عليه ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ فلا

تسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق السمع ذلك دونهم لعله
يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿وَأُبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١).

وإسناده حسن^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٨٥.

(٢) بيان إسناده هذا الحديث:

- ١ - أبوكريب هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، وهو ثقة حافظ كما تقدم انظر ص ٩ رقم ١.
 - ٢ - يونس بن بكير بن واصل الشيباني، صدوق يخطئ أحياناً، من الطبقة التاسعة (التهذيب ١١ / ٤٣٤ رقم ٨٤٤).
 - ٣ - ومحمد بن إسحاق هو صاحب المغازي وهو صدوق يدلّس كما تقدم - انظر ص ١٩ رقم ٢.
 - ٤ - داود بن الحصين ثقة إلا في عكرمة كما تقدم.
 - ٥ - عكرمة هو مولى ابن عباس وهو ثقة ثبت كما تقدم.
- وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ١١ / ٤٣٤ رقم ٨٤٤، ٩ / ٣٨ رقم ٥١، ٣ / ١٨١ رقم ٣٤٥).

ففي هذه الرواية بيان أن سبب نزول هذه الآية هو أن بعض المشركين كانوا يحبون سماع القرآن من رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا يخشون من قومهم فإذا رفع رسول الله ﷺ صوته بقراءة القرآن سمعه زعماء قريش الذين يحاربون الإسلام ويصدون الناس عن الدخول فيه فيتفرق أولئك الذين يريدون سماع القرآن خوفاً من هؤلاء الزعماء فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالقراءة بين الجهر والإخفاء حتى لا يسمعه من يتصدى لحربه ويسمعه من قصد السماع منه من قومه.

وهذا يخالف المعنى المستفاد من الحديث الأول ولكن يمكن الجمع بينهما بالقول بإمكان حصول الأمرين من كفار مكة ونزول الآية فيهما معاً إذ أن هؤلاء الكفار كانوا يهاجمون القرآن الكريم ويصفونه بأشنع الصفات ولا يتأدبون مع الله جل وعلا كما كانوا

=

فهذا إسناد متصل وفيه محمد بن إسحاق متهم بالتدليس وقد صرح هنا بالسماع فانتفى عنه التدليس، لكن فيه يونس بن بكير قد اتهم بالخطأ ولم يظهر منه خطأ في هذا الحديث فيكون هذا الإسناد حسناً.

أيضاً يصدون قومهم عن سماع القرآن أو الاتصال بالنبى ﷺ.

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ قال: لا تصل مراعاة الناس ولا تدعها مخافة^(١).

وإسناده حسن كما تقدم^(٢).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عباس ليس هو المعنى المقصود من الآية إذ أنه يتعارض مع المعنى المستفاد من الروایتين السابقتين كما يتعارض مع سياق الآية حيث جاءت هذه الآية ضمن آيات نزلت في مجادلة المشركين وصدر هذه الآية قوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ نزل حينما قال المشركون، هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى وقد كان النبي ﷺ يقول في

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٨٧.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

سجوده يا رحمن يا رحيم كما روى عن ابن عباس، أخرجه عنه ابن جرير من طريق أبي الجوزاء^(١).

وإنما ذكر ابن عباس هذا المعنى وهو قوله «لا تصل مراعاة الناس ولا تدعها مخافة» من باب بيان المعانى التي تستفاد من الآية حيث أن الجهر بالصلاة قد يكون الدافع إليه الرياء، وإخفاء الصلاة قد يكون الدافع إليه الخوف من الأعداء.

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٨٢ وإسناده ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المصيصي «سنيد» وهو ضعيف كما تقدم.

﴿سورة الكهف﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾

[الكهف / ٩].

قال الإمام البخاري: قال سعيد^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما [١٩٥]﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح من رصاص، كتب عاملهم أسماءهم ثم طرحه في خزانته فضرب الله على آذانهم فناموا^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن

مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وإسناده صحيح على شرط البخاري^(٣).

(١) يعني سعيد بن جبير كما ذكر الحافظ ابن حجر - الفتح ٨ / ٤٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف.

(٣) فتح الباري ٨ / ٤٠٧.

وقال الحافظ ابن حجر في موضع آخر: وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة... ثم ذكر ملخصاً لهذه القصة^(١).

وقد ذكرها السيوطي من رواية ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس: ليس ذلك لك قد منع الله ذلك عمن هو خير منك فقال ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالاً فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم رجلاً فأخرجهم، فبلغ ذلك ابن عباس فأنشأ يحدث عنهم فقال: إنهم

(١) فتح الباري ٦/ ٥٠٥، كتاب أحاديث الأنبياء.

كانوا في مملكة ملك من الجبابرة فجعلوا يعبدون الأوثان، وهؤلاء
الفتيان في المدينة فلما رأوا ذلك خرجوا من تلك المدينة فجمعهم الله
على غير ميعاد فجعل بعضهم يقول لبعض: أين تريدون أين
تذهبون؟ فجعل بعضهم يخفي على بعض لأنه لا يدري هذا على ما
خرج هذا ولا يدري هذا، فأخذوا العهود والمواثيق أن يخبر بعضهم
بعضاً فإن اجتمعوا على شيء وإلا كتم بعضهم بعضاً فاجتمعوا على
كلمة واحدة فقالوا ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ إلى قوله ﴿مَرْفَقًا﴾ ، قال:
فقعدوا فجاء أهلهم يطلبونهم لا يدرون أين ذهبوا، فرفع أمرهم إلى
الملك فقال: ليكونن هؤلاء القوم بعد اليوم شأن، ناس خرجوا لا
يدري أين ذهبوا في غير خيانة ولا شيء يعرف، فدعا بلوح من
رصاص فكتب فيه أسماءهم ثم طرح في خزانته، فذلك قول الله ﴿أَمْرٌ
حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ والرقيم هو اللوح الذي كتبوا
فيه، فانطلقوا حتى دخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا فلو
أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم
الأرض وذلك قول الله ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ

الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّرُكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴿٧٧﴾ .

قال: ثم إن ذلك الملك ذهب وجاء ملك آخر فعبد الله وترك تلك الأوثان وعدل في الناس فبعثهم الله لما يريد، فقال قائل منهم: كم لبستم؟ فقال بعضهم يوماً، وقال بعضهم يومين وقال بعضهم أكثر من ذلك، فقال كبيرهم: لا تختلفوا فإنه لم يختلف قوم قط إلا هلكوا، فابعثوا أحدهم بورقكم هذه إلى المدينة، فرأى شارة أنكرها ورأى بنياناً أنكره ثم دنا إلى خباز فرمى إليه بدرهم وكانت دراهمهم كخفاف الربيع - يعني ولد الناقة - فأنكر الخباز الدرهم فقال: من أين لك هذا الدرهم؟ لقد وجدت كنزاً لتدليني عليه أو لأرفعنك إلى الأمير، فقال: أو تخوفني بالأمير؟ وأتى الدهقان الأمير قال: من أبوك؟ قال فلان، فلم يعرفه، قال فمن الملك؟ قال: فلان، فلم يعرفه، فاجتمع عليهم الناس، فرفع إلى عالمهم فسأله فأخبره، فقال عليّ باللوح، فجيء به، فسمى أصحابه فلاناً وفلاناً وهم مكتوبون في اللوح، فقال للناس: إن الله دلكم على إخوانكم، وانطلقوا وركبوا حتى أتوا الكهف فلما دنوا من الكهف قال الفتى: مكانكم أنتم حتى

أدخل أنا على أصحابي ولا تهجموا فيفزعون منكم وهم لا يعلمون أن الله قد أقبل بكم وتاب عليكم، فقالوا: لتخرجن علينا، قال: نعم إن شاء الله، فدخل فلم يدروا أين ذهب وعمى عليهم فطلبوا وحرصوا فلم يقدروا على الدخول عليهم، فقالوا لتخذن عليهم مسجداً فاتخذوا عليهم مسجداً فجعلوا يصلون عليهم ويستغفرون لهم^(١).

وقد روي عن ابن عباس في المراد بالرقيم قولان آخران: الأول أنه إسم للوادي، أخرج ذلك ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال: الرقيم واد بين عسفان وأيلة دون فلسطين وهو قريب من أيلة^(٢).

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم^(٣).

(١) الدر المنثور ٤ / ٢١٣.

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٩٨.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

والثاني أنه اسم للجبل، أخرج ذلك ابن جرير الطبري من طريق الحسين بن داود عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس قال «الرقيم الجبل الذي فيه الكهف»^(١).

وهذا إسناد ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المصيصي المعروف بـ «سنيد» وهو ضعيف كما تقدم.

فالمعتمد عن ابن عباس في تفسير الرقيم هو ما جاء في حديث الإمام البخاري السابق من أن المراد به اللوح الذي كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف.

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٩٩.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاثَتْ أَكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾

[الكهف / ٣٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أَكُلَهَا وَلَمْ [١٩٦]

تَظْلِمِ﴾ لم تنقص^(١).

قال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق عطاء عن

ابن عباس^(٢).

بيان المعنى :-

قوله تعالى ﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاثَتْ أَكُلَهَا﴾ المراد بالجنيتين الجنتان

المذكورتان في الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٠٧.

جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا .

المعنى: كلتا الجنتين آتت ثمرتها كاملة ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ يعني ولم تنقص من إنتاجها شيئاً، على خلاف العادة في البساتين الأخرى حيث تتعرض في الغالب للنقص أو الفساد.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ ولم تنقص ويقال: «ظلمني فلان حقي» أي نقصني، وقال رجل لابنه:

تَظْلَمْنِي مَا لِي كَذَا وَلَوْ يَدِي لَوْ يَدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ^(١)

وقوله ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ هذا من كمال الجنتين حيث يتوافر لهما الإرواء الكافي بالماء فيزيد ذلك من إنتاجهما، ومن كمال الراحة لصاحبهما حيث لا يجد مشقة في الحصول على الماء الذي فيه حياة الجنتين وبهاؤهما.

(١) مجاز القرآن ١ / ١٠٢.

وهذا البيت لفرعان بن الأعرف يقوله في ولده منازل - انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ٢ /

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ، مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) ✽ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ

بَلَغَتْ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا
 أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ
 لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
 تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
 فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
 فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ
 يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
 يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ
 أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
 ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿الكهف/ ٦٠ - ٨٢﴾.

قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو [١٩٧]

ابن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: إن «نوفا
 البكالي» يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني
 إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني «أبي بن كعب» أنه
 سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل

أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه «يوشع بن نون» حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبر بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً - فقال موسى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوباً، فسلم

عليه موسى فقال الخضر: أنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال له الخضر ﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلما هم أن يحملوها فعرفوا الخضر فحملوها بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يُفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٢) قال وقال رسول الله ﷺ «وكانت الأولى من موسى نسياناً» قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر،

ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى: ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤) ❀ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ قَالَ: وهذه أشد من الأولى ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٥﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿ قَالَ: مائل - فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرًا. قال هذا فراق بيني وبينك - إلى قوله - ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما»

قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك

يأخذ كل سفينة غصباً» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»^(١).

وأخرجه مسلم في صحيحه من عدة طرق^(٢).

وأخرج أبو داود في سننه أجزاء منه^(٣).

وأخرجه الترمذي في سننه من عدة طرق^(٤).

بيان المعنى:

قوله «إن نوحا البكالي» قال الحافظ ابن حجر في «البكالي» هو بكسر الموحدة مخففاً وبعد الألف لام، ووقع عند بعض رواة مسلم

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف، باب رقم ٢، حديث رقم ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧ كتاب العلم رقم ٧٤، ٧٨، ١٢٢. كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٠٠، ٣٤٠١، كتاب التوحيد رقم ٧٤٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، رقم ٢٣٨٠.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنن، باب في القدر، حديث رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦، ٤٧٠٧.

(٤) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الكهف ٨ / ٥٨٨.

بفتح أوله والتشديد والأول هو الصواب، واسم أبيه فضالة بفتح الفاء وتخفيف المعجمة - وهو منسوب إلى بني بكال .. بطن من حمير، ويقال إنه ابن امرأة كعب الأحبار وقيل ابن أخيه وهو تابعي صدوق^(١).

قوله «يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل» هذه المقالة مأخوذة من أهل الكتاب، قال ابن إسحاق في «المبتدأ» كان موسى بن ميثا قبل موسى بن عمران نبياً في بني إسرائيل، ويزعم أهل الكتاب أنه الذي صحبه الخضر. ذكره ابن حجر^(٢).

وقد جاء سبب تسمية الخضر بهذا الاسم في حديث أخرجه الإمام البخاري من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم

(١) فتح الباري ٨ / ٤١٣.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤١٣.

قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»^(١).

قال ابن الأثير بعد أن ذكر هذا الحديث: الفروة الأرض اليابسة وقيل: الهشيم اليابس من النبات، وذكر ابن حجر هذين القولين في شرح هذا الحديث وكذلك ذكرهما ابن منظور في لسان العرب^(٢).

قوله «فقال ابن عباس: كذب عدو الله» قال الحافظ ابن حجر: قوله «كذب» وقوله «عدو الله» محمولان على المبالغة في الزجر والتنفير عن تلك المقالة^(٣).

أقول: وهذه المبالغة في الزجر من ابن عباس لأن نوما البكالي أخذ عن أهل الكتاب ما يخالف الثابت عن النبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٧.

(٢) فتح الباري ٦ / ٤٣٣، النهاية في غريب الحديث، لسان العرب (مادة فرا).

(٣) فتح الباري ٨ / ٤١٣.

والظاهر أن ابن عباس أراد بالكذب هنا الخطأ وذلك لأن نوما لم
يخلق هذا الخبر وإنما هو مروى عن أهل الكتاب فأخطأ حينما نقل
عنهم ما يخالف كلام رسول الله ﷺ.

قوله «واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر
فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار
عليه مثل الطاق» في هذا آية من آيات الله جل وعلا حيث أحيا الحوت
بعد موته وأبقى فيه الحياة وهو خارج المياه على خلاف المعتاد من حياة
السماك حيث يموت بعد إخراج الماء، ثم أمسك الله جل وعلا
الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وهو ما يعقد من الأبنية على
الأبواب ونحوها^(١) ليكون آية لموسى عليه السلام إذا رجع فيعرف
مكانه.

قوله «وأنى بأرضك السلام» الاستفهام للاستبعاد أي وكيف

(١) انظر لسان العرب (مادة طوق).

يوجد هذا اللفظ من التحية بهذه الأرض؟ وهذا دليل على أن أهل تلك البلاد لم يكونوا مسلمين^(١).

قوله «فحملوهم بغير نول» أي بغير أجرة كما جاء في بعض روايات البخاري فقالوا: عبد الله الصالح لا نحمله بأجر^(٢).

قوله «فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً» أي ارتكبت شيئاً عظيماً وفعلت منكراً، والإمر بكسر الهمزة قيل هو الأمر العظيم الشنيع وقيل هو الأمر العجيب، وقال الأخفش يقال أمر أمره إمراً إذا اشتد قال الراجز:

قد لقي الأقران مني نكرا داهية دهياء إذا إمراً^(٣).

(١) فتح الباري ٨ / ٤١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف، باب رقم ٣.

(٣) لسان العرب (مادة أمر).

قوله «ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر» هذا التشبيه لتقريب المعنى الذي أراده الخضر عليه السلام وهو بيان سعة علم الله تعالى وليس المراد تشبيه علم الله تعالى بالبحر لأن علم الله تعالى ليس له حدود، قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف / ١٠٩] - وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان / ٢٧].

قوله «قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين».

هذه القراءة لم يذكرها ابن الجزري من القراءات العشر وهي شاذة لمخالفتها للرسم العثماني فإن فيها زيادة كلمة أو إبدال كلمة بأخرى، وهي من حيث المعنى لا تختلف مع القراءة المشهورة بل تعتبر تفسيراً لها.

فقوله تعالى ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ أي أمامهم كما جاء في قراءة ابن عباس، وهذه الكلمة من أسماء الأضداد وتطلق على الخلف والأمام. وقوله ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ المقصود كل سفينة صالحة سليمة من العيوب إذ لو كان الملك يأخذ كل سفينة على الإطلاق لم يكن لتعيب الخضر سفينة المساكين معنى. وهذا هو المذكور في القراءة المنسوبة إلى ابن عباس.

وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ المقصود أنه سيؤول أمره إلى الكفر إذا كبر فلذلك قتله الخضر كما يدل عليه قوله ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ وفي القراءة المنسوبة إلى ابن عباس التصريح بأنه كان كافرًا.

وهذا الذي أقدم عليه الخضر عليه السلام من قتل ذلك الغلام إنما هو مبني على ما علمه الله تعالى من أن ذلك الغلام سيكون كافرًا إذا كبر، وهذا وما جاء بعد ذلك من موضوع الجدار الذي بناه دليل على أن الخضر نبي، وكذلك ما في رواية البخاري السابقة من قول الخضر «يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت،

وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه».

وقد يقال: إن الخضر قد أقدم على قتل غلام بريء لم يقتل أحداً ولم يبلغ الحلم ويعلن كفره حتى يقتل لكفره، فهذا ظاهره أنه أمر منكراً، ومن هذا المنطلق أنكر عليه موسى عليه السلام، حيث قال له ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ، ولكن لما بين له الخضر بما أوحى الله إليه بأن ذلك الغلام سيكون كافراً وسيرهق والديه بطغيانه وكفره سلم له ذلك موسى فالخضر لم يأتي أمر منكراً بل فعل معروفاً، وقدّم لذلك الغلام أبلغ المعروف والإحسان، فهو في ذلك الوقت الذي لم يصل فيه إلى حدّ البلوغ لا تُكتب عليه المعاصي، وإذا مات قبل أن يبلغ لا يكون من أهل النار، فالخضر عليه السلام بقتل ذلك الغلام قد حقق أمرين: الأول أنه خلّص ذلك الغلام من دخول النار، والحياة الآخرة هي التي يجب أن يكون النظر إليها والعمل لها، أما الدنيا فإنها مزرعة للآخرة، فمن زرع فيها عملاً صالحاً كان مصيره إلى الجنة، ومن زرع فيها عملاً فاسداً كان مصيره إلى النار، والأمر الثاني هو المذكور في الآية وهو تخليص الأبوين من فتنة ذلك الغلام لو أنه كبر وكفر.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف / ٩٦].

١ - قال الإمام البخاري ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ يقال عن ابن [١٩٨] عباس: الجبلين^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ يقول: بين الجبلين^(٢).
وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

٢ - قال الإمام البخاري: ﴿أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ قال ابن عباس: [١٩٩]

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب رقم ٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢٥.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

النحاس^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال:

القطر النحاس^(٢).

وإسناده ضعيف كما تقدم^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح إلى

عكرمة عن ابن عباس قال: ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ قال: النحاس^(٤).

بيان المعنى:

يقول تعالى حكاية عن ذي القرنين حينما بلغ مشرق الأرض

فطلب منه أهلها أن يجعل بينهم وبين ياجوج ومأجوج ردماً ﴿ءَاتُونِي

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب رقم ٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢٤.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

(٤) فتح الباري ٦ / ٣٨٥.

زُبَرَ الْحَدِيدِ» يعني قطع الحديد كما أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(١). فأتوه به فجعله بين الجبلين ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ يعني أعلى الجبلين فساواهما بالحديد ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ أي انفخوا النار على هذا الحديد حتى يتحول إلى نار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ من شدة الإيقاد عليه ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ يعني نحاسًا مذابًا حتى يزيد من صلابته واستوائه فلا يستطيعون اختراقه ولا الظهور فوقه ﴿فَمَا اسْطَبَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢٤، وإسناده حسن كما تقدم في ص ٢.

﴿سورة مريم﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٧].

قال الإمام البخاري في قوله تعالى ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [٢٠٠] قال ابن عباس: مثلاً^(١).

قال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ يقول: هل تعلم له مثلاً أو شبهها، ومن طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: لم يسم يحيى قبله غيره^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب رقم ٤٣.

(٢) فتح الباري ٦ / ٤٦٨.

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم في حديث طويل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي^(١).

بيان المعنى:

قوله ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ يفسره ما جاء في بعض الرويات «لم يسم يحيى قبله غيره» أي أن هذا الاسم قد اختاره الله جل وعلا له عليه السلام ولم يكن معروفاً عند الناس قبله.

وقد روي عن ابن عباس في الآية تفسير آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال: لم تلد العواقر مثله ولداً قط^(٢).

والقول الأول أرجح من حيث الإسناد لأنه روى من طريقين،

(١) المستدرک ٢ / ٥٩٠، كتاب التاريخ، باب ذكر يحيى عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٤٩.

ومن حيث المتن لأن مدلول الأثر الثاني أن يحيى عليه السلام قد اختص بكونه ولد من أم عاقر، وهذا منتقض بإسحاق عليه السلام حيث ولد من أم عاقر أيضًا كما قال تعالى حكاية عن أمه سارة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْثَهَا إِلَى يَاقُوتَ بْنِ عَنبَةَ إِيمَانًا لَّيْسَ فِيهَا مِنْ عَجْوٍ عَنِيٌّ﴾ [الذاريات/ ٢٩] وذلك حينما بشرت الملائكة بولادته أباه إبراهيم عليه السلام.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
[مريم / ٣٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ ﴾ [٢٠١]
وَأَبْصِرْ ﴿ الله يقول وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون في ضلال مبين
يعني قوله ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره^(١).
وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن
جريج عن عطاء عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

هذا تعجيب من الله تعالى لعباده من هؤلاء الكفار حين يبعثون
يوم القيامة وهم أشد ما يكونون سمعًا وأحد ما يكونون بصرًا حيث

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة مريم.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٢٧.

يستفيدون من كل ما يسمعون ومن كل ما يبصرون فيدركون به
عظمة الله جل وعلا ووحدانيته وقد كانوا في الدنيا في ضلال مبين
حيث لم يستفيدوا مما يسمعون ولا مما يبصرون من آيات الله الدالة
على وحدانيته وعظمته جل وعلا، فمن رآهم وهم على هذه الحال
تعجب من حالهم حيث أصبحوا يسمعون ويبصرون في وقت لا
ينفعهم فيه سمع ولا بصرهم، بينما عطلوا حواسهم في الوقت الذي
كان ينفعهم فيه إدراكهم.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ^ط وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم / ٤٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ^ط﴾ [٢٠٢] لأشتمنك^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس^(٢).

والرجم في الأصل الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغيرة ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْفُخْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء / ١١٦] ويستعار للسب والشتم كما في قوله في هذه الآية ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي لأشتمنك وأقولن فيك ما تكره^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٢٧.

(٣) لسان العرب، المفردات في غريب القرآن، مادة (رجم).

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم / ٥٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿غِيًّا﴾ خسراناً^(١). [٢٠٣]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وأصل الغي الضلال والفساد، وفسره ابن عباس بالخسران لأنه جاء في الآية مترتباً على إضاعة الصلاة واتباع الشهوات الذي هو الضلال والفساد، والتعبير عن الخسران بالغى من باب التعبير عن الشيء بسببه لأن الغى بسبب الخسران وسوء العاقبة^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة مريم، وكتاب بدء الخلق باب رقم ١٠.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٠٠.

(٣) انظر مفردات الراغب ولسان العرب مادة (غوى).

وقوله ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الخلف بإسكان اللام المتخلفون عن الأولين الباقون بعدهم، فهو بمعنى التخلف عن تقدم أما الخلف بفتح اللام فهو بمعنى البدل والخلافة^(١).

والضمير من قوله ﴿بَعْدِهِمْ﴾ يعود على الأنبياء عليهم السلام الذين ذكرهم الله تعالى في هذه السورة.

(١) لسان العرب (مادة خلف).

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ^ج وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا^{٦٤} رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ^ج هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٦٤ - ٦٥].

قال الإمام البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر قال: [٢٠٤] سمعت أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾^(١). وأخرجه الترمذي وأحمد والحاكم^(٢).

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٣١، كتاب التفسير، باب {وما ننزل إلا بأمر ربك} ورقم ٣٢١٨، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ورقم ٧٤٥٥، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين}.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة مريم، حديث رقم ٣١٥٨؛ مسند أحمد ١ / ٢٣٣، المستدرک ٢ / ٦١١ كتاب التاريخ.

وأخرجه الطبري من عدة طرق وفي إحدى رواياته عن ابن عباس قال: أحتبس جبرائيل عن النبي ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن ... فنزلت هذه الآية^(١).

بيان المعنى:

قوله ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي لله جل وعلا ما بين أيدينا من المستقبل الذي نحن صائرون إليه وما خلفنا من الماضي الذي خلفناه وما بين ذلك من الحاضر الذي نعيش فيه.

وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الدنيا^(٢).

ويفهم من هذا أن ما بين ذلك هو إلى قيام الساعة.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي وما كان ربك تاركاً أنبياءه عليهم

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٠٣.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٠٤ وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد في رقم ٣٥ وتبين لنا أنه ضعيف.

السلام ولا متخلياً عن نصرتهم وتأيدهم، فتأخر نزول الوحي عليهم
ليس لأن الله تعالى قد ترك نبيه ﷺ كما يقول الكفار وإنما لحكمة يعلمها
الله جل وعلا.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا﴾ [مريم / ٧٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أَثْنًا﴾ [٢٠٥]

مالاً ﴿وَرِئًا﴾ منظرًا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي ومن طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الرئي المنظر والأثاث المتاع^(٢).

قال الأخفش الأوسط: فالرئي من الرؤية، وفسروه بالمنظر، فذلك يدل على أنه من رأيت^(٣).

والقرن الأمة تأتي بعد الأمة، واختلف في مدته، وهو مقدار

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١١٧.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٤٠٤.

التوسط في أعمار أهل الزمان^(١).

والضمير في قوله «قَبْلَهُمْ» يعود على كفار مكة المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا».

و«الندي» المجلس، كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى «وَأَحْسَنُ نَدِيًّا» يقول: مجلسا.

قال ابن جرير: يقال منه: ندوت القوم أندوهم ندوا إذا جمعتهم في مجلس^(٢).

(١) لسان العرب (مادة قرن).

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١١٥ - ١١٦.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مريم / ٨٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿وَرِثًا﴾ عطاشاً^(١). [٢٠٦]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وأصل الورد قصد الماء للشرب، قال الألوسي: وإطلاقه على العطاش مجاز لعلاقة اللزوم لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش^(٣).

والتعبير بالسوق وبالورد لإهانة الكفار وإذلالهم حيث يساقون كالبهائم العطاش، وقد جاء هذا التعبير في مقابل قوله تعالى قبل هذه الآية عن المؤمنين ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي مكرمين معززين بوفادتهم على الرحمن جل وعلا.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب رقم ١٠، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٢٧.

(٣) تفسير الألوسي ١٦ / ١٣٦.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ۖ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم / ٨٨ - ٩١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِذَا﴾ قولاً [٢٠٧] عظيماً، ﴿هَذَا﴾ هدمًا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وقوله «﴿إِذَا﴾ قولاً عظيماً» أي عظيم النكارة، قال ابن منظور: الإذُّ والاذة العجب والأمر الفظيع العظيم والداهية^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم، وباب رقم ٦.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) لسان العرب (مادة أدد).

وقال الراغب: أي أمرًا منكراً يقع فيه جلبه من قولهم أدَّت الناقة
تَدُّ أي رجعت حينها ترجيعاً شديداً^(١).

(١) المفردات في غريب القرآن/ ١٤ (مادة أدد).

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم / ٩٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿رِكْزًا﴾ [٢٠٨] صوتًا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وقوله «رِكْزًا» صوتًا قال الراغب الأصفهاني: الرِّكْز الصوت الخفي قال تعالى ﴿هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وركزت كذا أي دفتته دفنًا خفيًا ومنه الركاز للمال المدفون.

وقال ابن منظور: والركز الصوت الخفي وقيل هو الصوت ليس

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٣٤.

بالشديد قال: وفي التنزيل العزيز ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ قال الفراء:
الركز الصوت، والركز صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز
الصائد إذا ناجى كلابه^(١).

(١) مفردات الراغب، لسان العرب (مادة ركز)، معاني القرآن للفراء ٢ / ١٧٤.

﴿سورة طه﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنْنَهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

[طه / ٩ - ١٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿بِقَبَسٍ﴾ : [٢٠٩] ضلوا الطريق وكانوا شاتين فقال: إن لم أجد عليها من يهدي الطريق أتكم بنار توقدون.

وفي قوله ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ قال: المبارك ﴿طُوًى﴾ : اسم الوادي^(١). وأخرجه ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس .. وذكر نحوه^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة (طه)، كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٤٣.

وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق، قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء ورفعت لهم النار، فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله ﴿قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾^(١).

وقوله ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ المبارك ﴿طَوَى﴾ اسم الوادي «أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»^(٢).

وقوله تعالى ﴿يَقْبَسِ﴾ أي بشعلة مقتبسة من النار وقال تعالى في موضع آخر ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ والقبس والاقبتباس طلب ذلك^(٣).

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٤٢.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٤٥، ١٤٦.

(٣) مفردات الراغب (مادة قبس).

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا
وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۚ﴾ (١٨) قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَىٰ ۖ ﴿١٩﴾
فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۚ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
أَلَوٰى ﴿٢١﴾ [طه / ١٧ - ٢١].

١ - قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿مَآرِبُ﴾ حاجة، [٢١٠]

﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وأخرجه أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وَلِيَ﴾

فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ قال: حوائج أخرى قد علمتها^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ٢٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢.

وكتاب التفسير، سورة (طه).

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٥٥، ١٥٧.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى﴾ [طه/

٤٠].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾: [٢١١]

على موعد^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ثُمَّ

جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى﴾ يقول: لقد جئت لميقات يا موسى^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة (طه).

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٦٧.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا نِنْيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [طه / ٤٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا نِنْيَا﴾ : [٢١٢]

لا تضعفا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس. وأخرجه

أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا نِنْيَا﴾ يقول: لا تبطنأ^(٢).

ففي الرواية الأولى قال: «لا تضعفا» وفي هذه الرواية قال «لا

تبطنأ» والإبطاء ناتج من الضعف فالمعنيان متقاربان.

وفي هذه الآية يرشد الله جل وعلا موسى وهارون عليهما

السلام إلى استدامة ذكره جل وعلا لأن ذكر الله هو زاد المؤمن الذي

يتقوى به على أعدائه كلما ذكر أن الله معه ولن يخذله ما دام ملتزماً

بطاعته.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٦٨.

ه - ما جاء في قوله تعالى

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿هَوَىٰ﴾ شقي^(١) [٢١٣]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢)

وقوله تعالى ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ معناه فقد سقط وتردى في الشقاء

فتفسيره بالشقاء بيان للشيء الذي تردى فيه.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢. كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٩٤.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ [طه / ٨٧].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بِمَلِكِنَا﴾ بأمرنا^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

والضمير في قوله ﴿قَالُوا﴾ يعود على قوم موسى عليه السلام، المعنى: قالوا لموسى عليه السلام: ما أخلفنا موعدك الذي أعطيناك إياه بأن نثبت على دينك في حال غيبتك بأمرنا الذي نملكه وإرادتنا وإنما أخلفنا موعدك بشيء فوق طاقتنا وقدرتنا.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٩٧.

٧ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ طه / ١٠٥ - ١٠٧].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿عِوَجًا﴾ [٢١٥] واديًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ رابية^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

العوج في اللغة هو الميل، والأمت في اللغة هو الارتفاع^(٣)، ولذلك فسر ابن عباس العوج بالوادي لأنه لا يكون مستقيمًا وفسر الأمت بالرابية لأنها مرتفعة.

وقوله ﴿صَفْصَفًا﴾ أي مستويًا كما أخرج ابن جرير من طريق

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢١٢.

(٣) اللسان، مادة (أمت).

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ يقول
مستويًا لا ثبات فيه^(١).

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢١٢، وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم ٢.

٨ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

[طه/ ١١٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿هَضْمًا﴾ لا [٢١٦]

يظلم فيهضم من حسناته^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قال: لا يخاف ابن آدم يوم القيامة

أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته ولا يظلم فيهضم في حسناته^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢١٨.

٩ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه / ١٢٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ضَنْكًا﴾ [٢١٧]

الشقاء^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

والضنك هو الضيق والشدة^(٣). وتفسيره بالشقاء من التفسير

باللازم لأن الشقاء لازم للضيق وناتج عنه.

وقد اختلف المفسرون في تحديد وقت هذه المعيشة الضيقة التي

جعلها الله سبحانه عقوبة لمن أعرض عن ذكره فقل إنها المعيشة في

الدنيا والمقصود بذلك ما يصيب الكافر في الدنيا من فوات المحبوبات

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢٢٦.

(٣) مفردات الراغب اللسان (مادة ضنك).

أو الوقوع في المكروهات لعدم إيمانه بقضاء الله وقدره ولفقده النعيم الروحي الذي يحصل عليه المؤمن من اتصاله بالله جل وعلا بينما يبقى الكافر في ظلمة وحيرة ويصبح ضحية تقلبات الدنيا التي عاش من أجلها واعتبرها هدفه الأسمى الذي يحاول بلوغ الكمال فيه وصيانتها من الانهيار.

وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق العوفي عن ابن عباس قال في معنى الآية: كل ما أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه، وهو الضنك في المعيشة^(١).

وقيل إن المراد بالمعيشة الضنك عذاب جهنم، وقد نقل ابن جرير القول بذلك عن قتادة والحسن البصري وعبد الرحمن بن زيد^(٢).
وقيل إن المراد بها عذاب القبر وبهذا قال أبو سعيد الخدري وأبو

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢٢٧، وهذا إسناد ضعيف تقدم الكلام عليه في ص ٩٠.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢٢٦.

هريرة رضي الله عنهما، أخرجه عنهما ابن جرير^(١).

وهذا القول هو الراجح لما أخرجه البزار قال حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: «عذاب القبر» ذكره ابن كثير وقال: إسناده جيد^(٢).

أقول: وليس هناك ما يمنع من الجمع بين القول الأول وهذا القول فيكون الله جل وعلا قد عاقب من أعرض عن ذكره بالشقاء في الحياة الدنيا والعذاب في القبر.

أما القول بأن المراد عذاب جهنم فهو بعيد لقوله تعالى في هذه الآية ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ وقوله في آخر هذه الآيات ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ فهذا ظاهر في أن المراد بالمعيشة الضنك غير عذاب الآخرة.

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ١٧٩.

١٠ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه / ١٢٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿النُّهَى﴾ التقى^(١). [٢١٨]

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الضمير يعود على المشركين من أهل مكة، ومعنى ﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبين لهم^(٣). ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ يعني الأمم الكثيرة التي أهلكناها قبلكم لما كفروا بالله وكذبوا رسله ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ يعني يمشي قومك هؤلاء في مساكن الأمم التي أهلكها الله تعالى، وذلك مثل مدائن صالح التي أهلك الله فيها قبيلة ثمود، وكانت على

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢، وكتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٢٣١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٩٥.

طريق أهل مكة إذا ذهبوا إلى الشام للتجارة.

قوله «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى» يعني أن فيما يشاهده هؤلاء الكفار من آثار عذاب الأمم السابقة لعبر وعظات لأصحاب العقول الراجحة.

والنُّهى جمع نُهىة، والنهىة العقل الراجح الناهي عن الوقوع في القبائح^(١).

وفسره ابن عباس بالتقى، وذلك من باب التفسير باللازم لأن من لازم الاتصاف بالعقل الراجح أن يكون صاحبه من المتقين حيث أن عقله ينهاه عن الوقوع في المآثم.

(١) مفردات الراغب (مادة نهى).

﴿سورة الأنبياء﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ
وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء / ٤٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿يُصْحَبُونَ﴾ يمنعون^(١). [٢١٩]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ﴿يُصْحَبُونَ﴾ قال: يجارون^(٢).

وأخرجه أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا هُمْ

مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ يقول: ولا هم منا يجارون وهو قوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون / ٨٨] يعني الصاحب، وهو الإنسان

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنبياء.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٣١.

يكون له خفير مما يخاف، فهو قوله ﴿يُضْحَبُونَ﴾^(١).

بيان المعنى:

هذه الآية جاءت ضمن آيات نزلت في المشركين الذين جادلوا رسول الله ﷺ واستعجلوا عذاب الله تعالى استكباراً منهم وجحوداً، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى أن قال ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ والاستفهام هنا للنفي والإنكار أي بل أهؤلاء الكفار الذين يستعجلون نزول عذاب الله بهم آلهة تمنعهم من عذاب الله إذا حل بهم؟!!

يعني ليس لهم آلهة تستطيع ذلك لأن آلهتهم لا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يستطيع هؤلاء الكفار أن ينصروا أنفسهم فيمنعوا عنها عذاب الله؟! أم ألهم من يجيرهم من عذاب الله فيمنعهم منه؟!!

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٣١.

قال تعالى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّائِضُونَ﴾

أي لا يستطيعون أن يمنعوا عن أنفسهم عذاب الله تعالى لأنهم عاجزون، وليسوا مصحوبين بمن يجيرهم من عذاب الله تعالى ويمنعهم منه.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿[الأنبياء / ٧٨ - ٧٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿نَفَشَتْ﴾ رعت ليلاً^(١). [٢٢٠]

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا: قال: وهو قول أهل اللغة: نفشت إذا رعت ليلاً بلا راع، وإذا رعت نهراً بلا راع قيل هملت^(٢). وكذلك قال قتادة كما أخرجه ابن جرير عنه^(٣).

وقد أخرج ابن جرير في معنى هاتين الآيتين من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يقول كنا لما حَكَمَا شاهدين وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنبياء.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ٥٣.

صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيئاً فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك فقضى بذلك داود ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذي قضى به داود فدخل سليمان على داود فقال: يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت فقال: كيف قال سليمان إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث فإن لها نسل في كل عام فقال داود: قد أصبت، القضاء ما قضيت، ففهمها الله سليمان^(١).

وإسناد هذا الحديث ضعيف كما تقدم^(٢).

ففي هذه الرواية بيان القضية التي ذكرها الله سبحانه بقوله ﴿إِذْ

يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾.

وقد تبين لنا أن داود عليه السلام حكم على أصحاب الغنم أن يسلموا غنمهم إلى أصحاب الحرث بدلاً من حرثهم الذي أفسده

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٥١.

(٢) انظر رقم (٣٥).

عليهم أصحاب الغنم، ولعله فهم أن قيمة الغنم تعادل قيمة ما أفسدوه من الحرث، أما سليمان عليه السلام ففهم بما ألهمه الله أن أصل مال صاحب الحرث لا يزال باقياً وهو الأرض وأصول الشجر وبالإمكان إصلاح حرثه ف قضى على أصحاب الغنم بما يقابل ما أفسدته غنمهم من الحرث من غير أن يذهب عليهم أصل ما لهم حيث قضى عليهم بأن يعطوا أصحاب الحرث من نتاج أغنامهم ما يقابل ما فسد من حرثهم إلى أن يستوفي أصحاب الحرث، وبهذا يرجع الحرث لأصحابه كاملاً وتبقى الغنم لأصحابها من غير إجحاف على الفريقين.

وقد جاء في إحدى هذه الروايات ما يبين هذا المعنى وذلك فيما أخرجه ابن جرير عن شريح أنه قال: كان النفس ليلاً وكان الحرث كرمًا، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال: فهو قول الله ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾^(١).

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٥٢.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء / ٩٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [٢٢١]

دينكم دين واحد^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

وقال ابن منظور: الأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أي

لا دين ولا نحلة له، قال الشاعر:

وهل يستوي ذو أمة وكفور^(٣)

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنبياء.

(٢) تفسير الطبري ٩٧ / ٨٥.

(٣) لسان العرب (مادة أمم).

﴿سورة الحج﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ
 ٨ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج / ٨ - ٩].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ مستكبراً^(١). [٢٢٢]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس في قوله ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ يقول مستكبراً في نفسه^(٢).

بيان المعنى:

نخبرنا الله تعالى ذكره عن حال نوع من الناس ليسوا أهل علم
 بالله ولا أصحاب هداية من الله إلى الطريق المستقيم، ولا يستضيئون
 بنور الكتاب الذي أنزله الله على رسوله ﷺ إلى الناس ليستفيدوا من

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحج.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٢١.

نوره وهداه، ومع هذا يجادلون في الله تعالى فينسبون له ما لا يليق بجلاله من الشرك وصفات النقص، يجادلون بذلك أهل العلم بالله تعالى والإيمان الصادق به وبما جاء عنه من الهدى والحق ليصدوا الناس بما معهم من الباطل الذي يزينونه في أعين الناس عن اتباع الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ .

﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ يعني لا وياً عنقه استكباراً واعتزازاً بباطله الذي يدعو إليه حتى يوهم الناس بأنه صاحب الغلبة والعلو ﴿يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حتى يصد الناس عن الإقبال على دعوة الحق ومحاولة تفهمها بإيهامه الناس بأن دعاة الحق ضعفاء مغلوبون على أمرهم وأن القوة والسلطان بيد خصومهم فيحول بذلك بين عامة الناس وبين محاولة الاقتراب من دعاة الحق والاستفادة منهم.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي عار وفضيحة بما يبتلى به في المستقبل من انكشاف أمره وهتك ستره بما يحصل له ولآرائه الباطلة من هزيمة

واندحار أمام الحق وأهله.

﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وذلك في نار جهنم، جزاء ما قدمت يده من الانحراف عن الطريق المستقيم وإضلال الناس عن سلوك هذا الطريق.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾
[الحج / ١١].

قال الإمام البخاري: حدثني إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن [٢٢٣] أبي بكير حدثنا إسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: «هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء»^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ إلى قوله ﴿أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة فإن

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٤٢، كتاب التفسير، سورة الحج باب رقم ٢.

صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرًا حسنًا وولدت امرأته غلامًا رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرًا، وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًا، وذلك الفتنة^(١).

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم^(٢).

بيان المعنى:

المعنى: ومن الناس من يقدم على الدخول في هذا الدين إقدام المتشكك في أمره المتخوف من عاقبة مسلكه يجذبه إلى الدين ما يراه من انتصار أهله الملتزمين به وما يترتب على انتصارهم من خير الدنيا ويمنها ويبعده عنه ما يراه من الصعوبات والأهوال التي يواجهها أهله المدافعون عنه الملتزمون بالجهاد في سبيله.

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٢٢.

(٢) انظر رقم ٣٥.

فيقدم على الدخول فيه في حال الأمن والرخاء، وتسكن نفسه لهذا الدين لما يرى من محبة المؤمنين وإيثارهم على أنفسهم ولما ينتظره من المستقبل المادي في حال هيمنة القائمين على هذا الدين.

فإذا حلت بالمؤمنين نازلة وابتلوا ببليّة تتطلب منهم الجهاد بالأنفس والأموال ارتد عن هذا الدين الذي أصبح لا يحقق له مطالبه التي من أجلها اعتنقه ثم التحق بمعسكر أهل الكفر والضلال ووالاهم ورجا منهم تحقيق ما كان يؤمله من المؤمنين.

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ التي كان يؤملها من التزامه بالإسلام والطمأنينة والسعادة المترتبة على ذلك.

﴿وَالْآخِرَةَ﴾ حيث كفر بالله والتجأ إلى مخلوق مثله لا يملك له ضرًا ولا نفعًا.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين الواضح لكل متأمل متجرد من هوى النفس، وإنها الخسارة الكبرى لأن كل أمر يخسره الإنسان يمكن تعويضه أما الخسارة بالضلال عن دين الله القويم فهي خسارة الدنيا والآخرة التي لا يمكن تعويضها.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج / ١٥].

قال الإمام البخاري: ﴿سَبَبٍ﴾ بحبل إلى سقف البيت^(١). [٢٢٤]

وقال الحافظ ابن حجر: وصله عبد بن حميد من طريق أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس بلفظ «من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا في الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل إلى سماء بيته ليختنق به»^(٢).

وأخرج أبو عبد الله الحاكم من طريق أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس قال: أي من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا ﷺ.

قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحج.

(٢) فتح الباري ٨ / ٤٤١.

الإمام الذهبي^(١).

وقد جاء في المستدرک وتلخيصه «عن أبي إسحاق عن التيمي» وهو خطأ صوابه «عن التيمي» وهو أربدة أو أربد التيمي، راوي التفسير عن ابن عباس ذكره ابن حجر في التهذيب وقال: تفرد عنه أبو إسحاق السبيعي وحده فيما ذكر غير واحد^(٢).

وقد جاء هذا الإسناد على الصواب في رواية ابن جرير الطبري^(٣).

بيان المعنى:

بعد أن ذكر الله سبحانه قبل هذه الآية أن من الناس من يدخل في هذا الدين عن شك وحيرة لتوقعهم أن رسول الله ﷺ لن ينتصر على أعدائه لكثرتهم وقلة أتباعه وأن نور الإيمان سيخبو وأن دولة الباطل

(١) المستدرک ٢ / ٣٨٦، كتاب التفسير.

(٢) تهذيب التهذيب ١ / ١٩٧.

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٢٦.

ستعلو على دولة الحق، قال سبحانه وتعالى ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ
 يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ يعني من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ
 ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالتمكن في الأرض ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بتحقيق ما وعد به أهل
 الإيمان من الثواب وما أوعده به أهل الكفر من العقاب فليات بما في
 وسعه من الوسائل والحيل لمنع نصر الله تعالى عن نبيه ﷺ!!

وإذا لم يتمكن من ذلك -ولن يتمكن- فليمدد بحبل وليختنق
 به فلينظر هل يذهبن ذلك غيظه وحقده؟!

ولكن هل سيتمكن بعد موته من النظر؟!

لا، إنه لن يتمكن من ذلك، وليس الأمر على الحقيقة، وإنما هو
 مثل ضربه الله لهؤلاء المشككين الحيارى لتقريعهم وتأيسهم مما أملوا
 به من أفول نجم الإسلام وانحسار ظله من الأرض، فالمراد من ذلك:
 إذا كنتم تظنون أن الله لن ينصر رسوله فاعلموا أن الله ناصره ومؤيده
 فموتوا غيظاً وكمداً.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج / ٢٧ - ٢٨].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي﴾ [٢٢٥]

أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ أيام العشر والأيام المعدودات أيام التشريق^(١).

قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله عبد بن حميد من طريق عمرو

بن دينار عنه وفيه «الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات

أيام العشر» قال: وروى ابن مردويه عن طريق أبي بشر عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس قال: «الأيام المعلومات التي قبل يوم التروية

ويوم التروية ويوم عرفة، والمعدودات أيام التشريق» إسناده

صحيح^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب رقم ١١.

(٢) فتح الباري ٢ / ٤٥٨.

بيان المعنى:

قوله ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يعني يمشون على أرجلهم ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي كل بعير قد أتعبه طول السفر فضمّر جسمه وهزل ﴿يَأْتِيكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ من كل طريق بعيد.

وذلك كما أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال قال ابن عباس ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ قال: مشاة، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ قال: الإبل، ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ قال: بعيد.

وكذلك أخرجه الطبري من طريق قتادة والعوفي عن ابن عباس^(١).

قوله ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ يعني منافع الدنيا كالتجارة ومنافع الآخرة بالعمل الصالح الذي يتضاعف أجره في مكة المكرمة، كما أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٤١.

﴿لِشَّهْدُوا مَنْفَعَ لَهُمْ﴾ قال: التجارة وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة^(١).

وقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الأيام المعلومات هي أيام عشر ذي الحجة على ما ذهب إليه ابن عباس في هذا الحديث ونهايتها يوم النحر، وعلى هذا فليس المراد بذكر الله في الآية التسمية على الذبيحة لأن وقت النحر في الحج يبدأ من يوم العيد، ويكون المراد بذكر الله حمده وشكره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

وقد روى ابن عباس أن المراد بالأيام المعلومات أيام التشريق، أخرج ذلك ابن جرير عنه من طريق العوفي^(٢).

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم^(٣).

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٤٧.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٤٨.

(٣) انظر الحديث رقم ٣٥.

وعلى هذا فيكون المراد بذكر اسم الله التسمية على ذبائح الهدي في أيام التشريق ويوم النحر يكون منها. ولكن إسناد الحديث الأول أصح من هذا.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني من بهيمة الأنعام التي أهديتها في الحج، والأمر هنا للندب وليس للوجوب عند الجمهور فيستحب للرجل أن يأكل من هديه وأضحيتة^(١).

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ البائس الذي أصابه البؤس وهو الشدة^(٢)، وذلك من شدة الفقر والحاجة.

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٤٤.

(٢) لسان العرب (مادة بؤس).

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

[الحج / ٣٩].

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق حدثنا سفيان عن الأعمش عن [٢٢٦]

مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم! إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ قال: فعرف أنه سيكون قتال، قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال^(١).

بيان الإسناد:

١ - إسحاق شيخ الإمام أحمد هو ابن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي، المعروف بالأزرق، وهو ثقة عابد من الطبقة التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائتين وله ثمان وسبعون سنة

(١) مسند أحمد ١/ ٢١٦.

أخرج له الجماعة^(١).

٢- وسفيان هو الثوري وهو ثقة إمام تقدمت ترجمته.

٣- والأعمش هو سليمان بن مهران وهو ثقة تقدمت ترجمته.

٤- ومسلم البطين ثقة تقدمت ترجمته .

٥- وسعيد بن جبير ثقة تقدمت ترجمته .

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وعليه يكون هذا الإسناد صحيحًا.

وقد أخرج هذا الحديث الإمام النسائي من طريق إسحاق

الأزرق بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق محمد بن بشار قال حدثنا أبو

أحمد الزبيري حدثنا سفيان ... بهذا الإسناد وذكر نحوه^(٣).

وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق وذكر

(١) التقريب ١/ ٦٣ رقم ٤٥٠، الكاشف ١/ ١١٥.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ٦/ ٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الحج حديث، رقم ٣١٧١.

نحوه وقال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي^(١).

وأخرجه البيهقي في سننه عن شيخه الحاكم من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق وذكر نحوه^(٢).

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ أي أذن الله جل وعلا بالقتال للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بسبب أنهم ظلموا من قبل المشركين ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ على أعدائه المشركين ﴿لَقَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء جل وعلا.

(١) المستدرک، کتاب الجهاد ٢ / ٦٦، وکتاب التفسیر، سورة الحج ٢ / ٣٩٠.

(٢) سنن البيهقي ٩ / ١٠ - ١١ کتاب السير باب مبتدأ الأذن بالقتال.

﴿سورة المؤمنون﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون / ١٢ - ١٤].

١ - أخرج عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن عبد الملك [٢٢٧]

بن ميسرة عن مجاهد قال: سألت ابن عباس عن العزل فقال: أؤجلكم أن تسألوا، قالوا: فسألنا نحن بيننا فرجعنا إليه فتلا علينا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ حتى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فقال: كيف تكون من المؤودة حتى تمر على هذا الخلق^(١).

وأخرجه البيهقي من طريق الثوري بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

(١) مصنف عبد الرزاق، باب العزل ٧ / ١٤٥، رقم ١٢٥٧٠.

(٢) سنن البيهقي ٧ / ٣٣٠، كتاب النكاح، باب العزل.

٢- وأخرج عبد الرزاق أيضًا عن ابن جريج عن عطاء أن رجلاً قال لابن عباس: إن ناسًا يرون أنها المؤودة الصغرى -يعني العزل- فقال: سبحان الله تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظامًا ثم تكسى العظام لحماً، فقال بيده فجمع أصابعه ثم مدها في السماء وقال: العزل قبل هذا كله، كيف يكون مؤودة؟ ثم ينفخ فيه الروح، فيكون العزل قبل هذا كله^(١).

٣- وأخرجه أيضًا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جرير قال أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد وهو جالس من عطاء أن ابن عباس سألته رجل وهو جالس عنده عن عزل النساء فقال: ليس به بأس .. وذكر مثله^(٢).

(١) مصنف عبد الرزاق ٧/ ١٤٥، رقم ١٢٥٧١، باب العزل.

(٢) مصنف عبد الرزاق ٧/ ١٤١، رقم ١٢٥٥٣، باب العزل عن الإمام.

بيان هذه الأسانيد:**الإسناد الأول:**

١ - الثوري ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته .

٢ - الأعمش ثقة حافظ تقدمت ترجمته .

٣ - عبد الملك بن ميسرة الهلالي أبو زيد العامري الكوفي الزراد، ثقة من الطبقة الرابعة أخرج له الجماعة^(١).

٤ - ومجاهد ثقة إمام في التفسير وقد تقدمت ترجمته .

وبهذا تبين لنا أن رواة الحديث كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض^(٢) فيكون إسناده صحيحًا.

بيان الإسنادين الآخرين:

١ - ابن جريج ثقة فقيه فاضل تقدمت ترجمته وهو يدلّس ولكنه

(١) التقريب ١/ ٥٢٤ رقم ١٣٥٧، الكاشف ٢/ ٢١٥، الخلاصة ٢٤٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٢ رقم ٣٧٦، ٦/ ٤٢٦ رقم ٨٨٦، تهذيب الكمال (ترجمة سليمان الأعمش).

هنا يروي عن عطاء وقد لقيه.

٢- وعطاء هو ابن أبي رباح وهو ثقة فقيه فاضل وهو كثير الإرسال، لكنه في هذا الحديث يروي عن ابن عباس وقد التقى به، وقد تقدمت ترجمته .

٣- وعبيد الله بن أبي يزيد الذي روى عنه ابن جريج في الرواية الثانية هو مولى آل قارظ بن شيبه المكي، وهو ثقة كثير الحديث من الطبقة الرابعة^(١).

وقد سمع من ابن عباس وسمع منه ابن جريج^(٢).

وبناء على هذا فالحديث صحيح الإسناد من هذين الطريقين كليهما.

بيان المعنى:

تبين لنا من هذا الحديث أن ابن عباس يرى جواز الغزل عن

(١) التقريب ١/ ٥٤٠ رقم ١٥٢٢، الخلاصة/ ٢٥٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٥٦ رقم ١٠٩.

المرأة، وقد أجاب على من رأى أن العزل هو المؤودة الصغرى بأن
الوأة لا يكون إلا بعد نفخ الروح وذلك بعد أن تتكون النطفة ثم
تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاماً ثم تكسى العظام لحماً كما
جاء في هذه الآيات.

وقد جاء ذكر العزل في أحاديث مرفوعة منها ما أخرجه الإمام
البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ،
وفي رواية للبخاري ومسلم عنه «كنا نعزل والقرآن ينزل» ولمسلم «كنا
نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا» ولهما من
حديث أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا سيئاً فكنا نعزل فسألنا رسول
الله ﷺ فقال: أو أنكم تفعلون؟ - قالها ثلاثاً - ما من نسمة كائنة إلى يوم
القيامة إلا هي كائنة»^(١).

وهذا الحديث الأخير يشعر بكراهة النبي ﷺ للعزل ويبين أن
الأولى عدم فعله.

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب العزل ٩ / ٣٠٥؛ صحيح مسلم، كتاب النكاح،
باب العزل ص ١٠٦١.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون / ٣٦].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾ بعيد [٢٢٨]

بعيد^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

وقوله تعالى ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هو مما حكاه الله تعالى من

كلام الكافرين، وقبل هذه الآية قوله تعالى ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ

تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ وبعدها قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ

وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ فالشيء الذي استبعده المشركون هو بعث

الأجسام بعد موتها.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون .

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٢٠ .

وقال أبو حيان في بيان هذه الكلمة: هيهات اسم فعل لا يتعدى
يرفع الفاعل ظاهرًا أو مضمّرًا وهنا جاء التركيب: هيهات هيهات لما
توعدون، لم يظهر الفاعل فوجب أن يعتقد إضمار تقديره هو أي
إخراجكم، وجاءت اللام للبيان أي أعني لما توعدون^(١).

(١) تفسير أبي حيان ٦ / ٤٠٥.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾ [المؤمنون / ٧٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿لَنُكَيِّبُونَ﴾ لعادلون^(١). [٢٢٩]

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس

ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: عن الحق عادلون^(٢).

قال ابن منظور: نَكَبَ عن الشيء وعن الطريق يَنْكُبُ نَكْبًا

وَنُكُوبًا وَنَكَبَ نَكْبًا وَتَنَكَّبَ: عدل^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون.

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٤٤.

(٣) لسان العرب (مادة نكب).

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون / ١٠٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿كَالِحُونَ﴾ عابسون^(١). [٢٣٠]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس^(٢).

وقال ابن جرير: والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الأسنان حتى

تبدو الأسنان، واستشهد على ذلك بما أخرجه من طريق أبي الأحوص

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال: ألم تر إلى الرأس

المشيظ بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون.

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٥٦.

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ٥٦.

﴿سورة النور﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور / ١]

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ بينها^(١). [٢٣١]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في قوله ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ يقول: بينها^(٢).

وقوله «بينها» أي بينا ما فيها من الأحكام على سبيل الإيجاب

والإلزام.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النور.

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٦٦.

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور/ ٦ - ٩].

قال الإمام البخاري: حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي [٢٣٢] عن هشام بن حسان حدثنا عكرمة عن ابن عباس «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء^(١)، فقال النبي ﷺ: البينة أو حدٌ في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: البينة وإلا حدٌ في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ

(١) سحماء بفتح السين وسكون الحاء وهي أمة واسم أبيه عبدة بن مغيث بن الجذ بن العجلان البلوي حليف الأنصار ذكره ابن حجر في الإصابة ٢ / ٦٤٧.

ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: إن الله يعلم أن أحكما كاذب فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت فلما كان عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها سترجع، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت، فقال النبي ﷺ: ابصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدّج الساقين فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن^(١).

وأخرجه أبو داود والترمذي والبيهقي^(٢).

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٤٧، كتاب التفسير، سورة النور رقم ٢٦٧١، كتاب الشهادات باب إذا ادعى وقذف فله أن يلتمس البينة، ورقم ٥٣٠٧ كتاب الطلاق باب يبدأ الرجل بالتلاعن.

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٢٥٤، كتاب الطلاق باب اللعان. سنن الترمذي ٩ / ٢٦، كتاب التفسير، سورة النور.

بيان المعنى :-

في هذا الحديث بيان أن هذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية زوجته بالزنا، ولما كان قذف الزوج زوجته محتملاً للصدق والكذب، وكان إيقاع الحد على أحدهما يعتبر تكذيباً له وتشويهاً لسمعته أنزل الله عز وجل هذه الآيات التي شرع فيها التلاعن بين الزوجين على ما ذكره الله في هذه الآيات حماية لأعراض المسلمين أن تنتهك بغير حق.

وجاء في إحدى روايات الإمام البخاري أن هذه الآيات نزلت في عويمر العجلاني، وقد جاء في هذه الرواية «فجاء عويمر فقال يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقنته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك» الحديث. وقد اختلف الأئمة في ذلك فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ومنهم من جمع بينهما

=

السنن الكبرى ٧ / ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ كتاب اللعان، باب الزوج يقذف امرأته وباب

من يلاعن من الأزواج.

بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضًا فنزلت في شأنهما معًا في وقت واحد.

ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ونسب الجمع المذكور إلى الخطيب والنووي، ثم قال: ويحتمل أن النزول بسبب هلال فلما جاء عويمر ولم يكن علم بما وقع لهلال، أعلمه النبي ﷺ بالحكم ولهذا قال في قصة هلال «فنزل جبريل» وفي قصة عويمر «قد أنزل الله فيك» فيؤول قوله «قد أنزل الله فيك» أي وفيمن كان مثلك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل^(١) قال: نزلت الآية في هلال وأما قوله لعويمر «قد نزل فيك وفي صاحبك فمعناه ما نزل في قصة هلال ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى قال: «أول لعان في الإسلام أن شريك ابن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته» الحديث^(٢).

(١) ابن الصباغ هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ، فقيه شافعي من أهل بغداد ألف كتاب «الشامل» في الفقه و«تذكرة العالم» و«العدة» في أصول الفقه – أنظر الأعلام للزركلي ٤ / ١٣٢.

(٢) فتح الباري ٩ / ٤٥٠.

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ^ط وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾
[النور / ٣١].

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ^ط وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ^ط وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور / ٦٠].

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثنا علي بن [٢٣٣] الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس
﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ الآية، فنسخ واستثنى من ذلك ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ الآية^(١).

(١) سنن أبي داود رقم ٤١١١، كتاب اللباس، باب قوله تعالى ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾.

بيان الإسناد:

تقدم الكلام على هذا الإسناد وتبين أنه فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم^(١) ولكن لم يظهر منه وهم في هذا الأثر فيكون إسناده على هذا حسناً.

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

بيان المعنى:

قوله «فنسخ واستثنى من ذلك» المراد بالنسخ هنا التخصيص، لقوله «واستثنى من ذلك» أي أن الله سبحانه استثنى حكم القواعد من النساء من عموم النساء.

والمستثنى منه في الآية الأولى قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني الخمار الذي تستر به المرأة شعر رأسها إلى نحرها فلا جناح على القواعد من النساء وهن اللاتي قعدن من الكبر فلا يتعرض

(١) انظر رقم ١٣.

(٢) السنن الكبرى ٧ / ٩٣، كتاب النكاح، باب ما جاء في القواعد من النساء.

من رآهن للفتنة بهن، وليس لهن رغبة في الزواج، أن يضعن ثيابهن الظاهرة التي تلبس عادة للتستر من غير المحارم، إذا لم تقصد من وضع ثيابها الظاهرة إظهار زينتها للرجال.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ يعني عن وضع الثياب فيلبسن خمرهن وجلابيبهن ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ من وضعها.

وقوله تعالى في الآية الأولى ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

مِنْهَا﴾ قيل إن المراد بما ظهر منها ما يظهر من الثياب، وبهذا قال [٢٣٤] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه ابن جرير عنه قال: حدثنا ابن المشي قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: الثياب^(١).

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١١٧.

وإسناده صحيح^(١).

وأخرجه ابن جرير أيضًا من طرق أخرى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود^(٢).

وقيل إن المراد بما يظهر من الزينة الكحل والخضاب والخاتم، وقد روي ذلك عن ابن عباس كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن

(١) بيان هذا الإسناد:

- ١- ابن المثنى هو محمد بن المثنى العنزي وهو ثقة كما تقدم.
 - ٢- محمد بن جعفر هو المدني المعروف بغندر وهو ثقة صحيح الكتاب إلا أن فيه غفلة (التقريب ٢ / ١٥١ رقم ١٠٨).
 - ٣- شعبة هو ابن الحجاج، وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته انظر ص ٩٥ رقم ٧.
 - ٤- أبو إسحاق السبيعي هو عمرو بن عبد الله السبيعي وهو ثقة تقدمت ترجمته.
 - ٥- وأبو الأحوص هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي وهو ثقة، من الطبقة الثالثة (التقريب ٢ / ٩٠ رقم ٧٩٦).
- وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٩ / ٤٢٥ رقم ٦٩٦، ٩ / ٩٦ رقم ١٢٩، ٤ / ٣٣٨ رقم ٥٨٠، ٨ / ١٦٩ رقم ٣٠٥) فإسناده متصل ورجاله ثقات.

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ١١٧.

أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: والزينة الظاهرة: الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها^(١).
وإسناده حسن كما تقدم^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١١٨.

(٢) انظر الحديث رقم ٢.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ أَلْكَتَبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا^١ وَعَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ [النور / ٣٣].

أخرج عبد الرزاق الصنعاني عن ابن جريج قال بعد ما ذكر في [٢٣٥] تفسير عطاء وعمرو بن دينار للخير في الآية: وبلغني عن ابن عباس قال: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير: المال^(١).

بيان الإسناد:

ابن جريج ثقة تقدمت ترجمته، ولكنه لم يذكر الراوي عن ابن عباس فيكون في الإسناد انقطاع وعلى هذا فهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه.

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس^(٢) وإسناده

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب المكاتب، الباب الأول (٨ / ٣٦٨ حديث رقم ١٥٥٧٠).

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ١٢٨.

ضعيف كما تقدم^(١).

وروى عن ابن عباس أن المراد بالخير في الآية القدرة على الاحتراف والكسب أخرج ذلك ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ يقول: إن علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤונاتهم على المسلمين^(٢).

وإسناده حسن كما تقدم^(٣).

وهذا هو المناسب لمعنى الآية وقد اختاره ابن جرير وأضاف إلى القدرة على اكتساب المال الوفاء بما التزم به وصدق اللهجة، ثم قال: وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده، مما يكون في العبد، فأما المال وإن كان من الخير فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أوله لا فيه، والله إنما أوجب علينا

(١) انظر الحديث رقم (٣٥).

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ١٢٧.

(٣) انظر رقم (٢).

مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرًا لا إذا علمنا عنده أوله، فلذلك لم نقل إن الخير في هذا الموضع معنيٌّ به المال^(١).

وقال الطحاوي: وقول من قال إنه المال لا يصح عندنا لأن العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال، والمعنى عندنا إن علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم أنهم يعاملونكم على أنهم متعبدون بالوفاء لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم^(٢).

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٢٩.

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ٢٤٥.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن
 بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
 طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُّوْا كَمَا اسْتَعِذْنَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
 [النور / ٥٨ - ٥٩].

١ - قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا عبد الله بن مسلمة [٢٣٦]

حدثنا عبد العزيز -يعني ابن محمد- عن عمرو بن أبي عمر عن
 عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس كيف ترى في هذه
 الآية التي أمرنا فيه بما أمرنا ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ
 مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ
 صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ

طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ ﴿ قَرَأَ الْقَعْنَبِي إِلَى ﴿عَلَيْمٌ حَكِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ
 اللَّهُ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يَحِبُّ السِّرَّ، وَكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبَيوتِهِمْ سِتُورٌ
 وَلَا حِجَالٌ^(١) فَرَبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ وَلَدَ الرَّجُلُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ
 عَلَى أَهْلِهِ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ فَجَاءَهُمُ اللَّهُ
 بِالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدَ^(٢).

بيان الإسناد:

١ - عبد الله بن مسلمة هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن
 قعنب القعنبي الحارثي، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا
 يقدمان عليه أحدًا في الموطأ، من صغار الطبقة التاسعة مات في أول
 سنة إحدى وعشرين ومائتين بمكة، روى له البخاري ومسلم وأبو
 داود والترمذي والنسائي^(٣).

(١) الحجال جمع حجلة وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار - اللسان مادة
 حجل -.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب الاستئذان في العورات الثلاث، حديث رقم ٥١٩٢.

(٣) التقريب ١ / ٤٥١ رقم ٦٣٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨٣ رقم ٣٨٢.

٢- عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني بالولاء المدني، صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر، من الطبقة الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة، روى له الجماعة^(١).

وقال ابن حجر في هدى الساري: وقال أحمد: كان معروفاً بالطلب وإذا حدث من كتابه فهو صحيح وإذا حدث من كتب الناس وهم وكان يقرأ من كتبهم فيخطئ، وربما قلب أحاديث عبد الله بن عمر يرويها عن عبيد الله بن عمر.

قال ابن حجر: روى له البخاري حديثين قرنه فيهما بعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهم وأحاديث يسيرة أفرد له لكنه أوردها بصيغة التعليق في المتابعات واحتج به الباقر^(٢).

٣- عمرو بن أبي عمرو ميسرة مولى المطلب المدني أبو عثمان، ثقة

(١) التقريب ١/ ٥١٢ رقم ١٢٤٨، الميزان ٢/ ٦٣٣ رقم ٥١٢٥.

(٢) هدى الساري/ ٤٢٠.

ربما وهم من الطبقة الخامسة، مات بعد الخمسين ومائة، روى له الجماعة^(١).

٤ - عكرمة مولى ابن عباس ثقة تقدمت ترجمته .

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواه بعضهم من بعض^(٢).

ومن هذا يتبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات ما عدا عبد العزيز الدراوردي فهو صدوق وحديثه عن عبيد الله العمري منكر ولكنه هنا لا يروي عن عبيد الله العمري فيكون الإسناد حسناً.

ولكن أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن سليمان قال حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمر بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس.

ذكره ابن كثير وقال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس^(٣).

(١) التقريب ٢ / ٧٥، الخلاصة / ٢٩٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٦ / ٣١ رقم ٥١، ٦ / ٣٥٣ رقم ٦٧٧، ٨ / ٨٢ رقم ١٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٧.

وأخرجه البيهقي في سننه من طريق الربيع بن سليمان بهذا الإسناد وذكر مثله^(١).

فعلى هذا يكون إسناد أبي داود المتقدم صحيحًا لأنه يتقوى بهذا الإسناد.

٢- قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا ابن السرح قال [٢٣٤] حدثنا (ح)^(٢) وحدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه قالوا: أخبرنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لأمر جاريتي هذه تستأذن علي. قال أبو داود: وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به^(٣).

بيان الإسناد:

١- ابن السرح هو الحافظ الفقيه أبو طاهر أحمد بن عمرو بن

(١) سنن البيهقي ٧ / ٩٧، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك والطفل.

(٢) هذه الحاء هي علامة تحويل الإسناد من طريق إلى طريق آخر.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث رقم ٥١٩١.

عبد الله بن عمرو بن السرح الأموي بالولاء المصري، مصنف شرح الموطأ، وهو ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، أخرج له الإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(١).

٢- ابن الصباح هو أبو جعفر التاجر محمد بن الصباح بن سفيان الجرجرائي، وهو صدوق من الطبقة العاشرة مات سنة أربعين ومائتين، أخرج له أبو داود وابن ماجه. قال ابن معين: «يحدث بحديث منكر» وهو «صنفان ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية»^(٢).

٣- وابن عبده هو أبو جعفر أحمد بن عبدة الأملي، وهو صدوق من الطبقة الحادية عشرة أخرج له البخاري وأبو داود^(٣).

وقد روى أبو داود هذا الحديث عن هؤلاء الشيوخ الثلاثة

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٥٠٤ رقم ٥١٩، التقريب ١ / ٢٣ رقم ٩٧.

(٢) التقريب ٢ / ١٧١ رقم ٣١٧، الخلاصة / ٣٤٢.

(٣) التقريب ١ / ٢١ رقم ٨٦، الكاشف ١ / ٦٤.

وفصل رواية شيخه ابن السرح عن رواية ابن الصباح وابن عبدة لأن رواية ابن السرح عن سفيان بصيغة التحديث أما رواية ابن الصباح وابن عبدة فهي بصيغة الإخبار، وهذا دليل على دقة المحدثين في اداء الحديث كما سمعوه.

٤ - وسفيان هو ابن عيينة وهو ثقة حافظ وقد تقدم.

٥ - وعبيد الله بن أبي يزيد هو المكي مولى آل قارظ بن شيبه وهو ثقة كثير الحديث.

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض^(١).

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الحديث في إحدى طرقه ثقات فيكون الحديث صحيح الإسناد.

بيان المعنى:

في هذه الآيات يرشدنا الله سبحانه إلى أدب من آداب الإسلام

(١) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٢٨ رقم ٣٦٠، ١ / ٥٩ رقم ١٠٠، ٧ / ٥٦ رقم ١٠٩.

وهو استئذان الممالك والأطفال على أولياء أمورهم في الأوقات الثلاثة .. من قبل صلاة الفجر وبعد الظهر ومن بعد صلاة العشاء، وإنما خصت الأوقات الثلاثة لأنها مظنة اجتماع الرجل بأهله، أما فيما عدا الأوقات الثلاثة فلا بأس من عدم الاستئذان نظرًا لاحتياج بعضهم إلى بعض ومشقة الاستئذان في كل وقت.

وأما من بلغ الحلم من الأطفال فإنه يجب عليهم أن يستأذنوا في جميع الأوقات لقوله تعالى في هذه الآيات ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كما استأذن الأطفال الذين بلغوا الحلم من قبلهم.

وفي الحديث الأول بين ابن عباس السبب في عدم التزام الناس بهذا الأدب فذكر أن الناس في عهد التنزيل لم تكن لبيوتهم ستور فشرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة فلما منَّ الله على الناس بالخير وسكنوا في بيوت مسترة لم يروا داعيًا لأمر أطفالهم وممالكهم بالاستئذان عليهم.

وقوله في الحديث الثاني «لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن» أي لم

يعملوا بها للسبب الذي تقدم ذكره، وقد جاء في بعض نسخ سنن أبي داود «لم يؤمر» وهو خطأ لأن الآية ليس فيها تخصيص لبعض الناس، وقد جاء هذا اللفظ على الصواب في بعض النسخ وفي رواية البيهقي وفيما نقله ابن كثير من سنن أبي داود^(١).

وقوله «وإني لأمر جاريتي هذه تستأذن علي» أي مع ما من الله به علينا من الستور والأبواب فإني أمر جاريتي بالاستئذان في الأوقات الثلاثة التزاماً بأمر الله تعالى في هذه الآية.

(١) سنن البيهقي ٧ / ٩٧، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك. تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٧.

٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ^٤ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا^٥ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ^٤ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور / ٦١].

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد المروزي [٢٣٧]

حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ تَحَرَةً عَنْ رَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء / ٢٩] قال: فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية فنسخ ذلك الآية التي في النور قال ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ

تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ» إلى قوله «أَشْتَاتًا» كان الرجل الغني يدعو الرجل من أهله إلى الطعام قال: إني لأجرح أن آكل منه - والتجرح الحرج - ويقول: المسكين أحق به مني فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأحل طعام أهل الكتاب»^(١).

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله^(٢).

بيان الإسناد:

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم، فالإسناد على هذا محتمل للضعف، ولكن أخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .. وذكر نحوه^(٣).

وهذا إسناد حسن كما تقدم فيتبين به أن هذا الحديث ليس مما

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب رقم ٦، حديث رقم ٣٧٥٣.

(٢) السنن الكبرى ٧ / ٢٧٤، كتاب الصداق، باب نسخ الضيق في الأكل من مال الغير.

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١٦٨.

وهم فيه علي بن الحسين بن واقد فيكون هذا الحديث باعتضاده برواية ابن جرير صحيحاً لغيره في الجملة حيث إن في سياق الروایتين بعض الاختلاف كما سيأتي.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني بغير حق، ويدخل في ذلك جميع أنواع المال الحرام كالربا والميسر وأنواع البيوع الباطلة.

وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِتِجَارَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ يعني لكن إذا كان المال من طريق تجارة عن تراض منكم فكلوه لأنه حلال لكم، فالاستثناء على هذا منقطع^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى آخر

(١) تفسير القرطبي ٥ / ١٥١.

الآية. نزل لرفع الحرج عن المسلمين في أمور كانوا يتخرجون منها في أول الإسلام.

وذلك أن المسلمين كانوا إذا خرجوا للجهاد فتحو بيوتهم للمتخلفين من الفقراء ذوي العاهات ليأكلوا منها فكان هؤلاء يتخرجون من دخول هذه البيوت وأهلها غائبون عنها، فرفع الله عنهم الحرج بهذه الآية، وقد روى ابن جرير هذا القول عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١).

وعندما نزل قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ تخرج بعضهم من الأكل في بيت غيره خوفاً من أن يكون داخلاً في مضمون هذه الآية فنزلت هذه الآية لرفع هذا الحرج كما يفهم من حديث الباب.

وكان بعضهم يتخرج من أن يأكل وحده فكان يبحث عن ضيف يأكل معه، وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٦٩.

طلحة عن ابن عباس قال: كانوا يأنفون ويتحرجون أن ياكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾^(١).

وإسناده حسن كما تقدم^(٢).

وقوله تعالى ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ يدخل في ذلك بيوت الأبناء لأنهم لم يذكروا بعد ذلك ثم عطف سبحانه على ذلك بيوت سائر الأقارب والأصدقاء.

وقوله تعالى ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ يعني المال الذي أصبحتم فيه وكلاء وأصبحت مفاتيحه في حوزتكم فلا جناح عليكم أن تأكلوا منه بالمعروف، كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ قال: وهو الرجل يوكل الرجل بضيعة فرخص الله له أن يأكل من

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٧٢.

(٢) انظر الحديث رقم ٢.

ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن^(١).

وإسناده حسن كما تقدم^(٢).

والمفتاح جمع مفتاح وهو المفتاح ويجمع على مفاتيح ومفاتيح وقيل

مفاتيح جمع مفتاح ومفاتيح جمع مفتاح^(٣).

وقوله في رواية أبي داود «فنسخ ذلك الآية التي في النور» النسخ

هنا غير ظاهر لأن آية النور مبينة لآية النساء لا ناسخة لها لأن النسخ

إزالة الحكم وآية النساء لم ينسخ حكمها بل هي محكمة، وقد جاء في

رواية ابن جرير «فأنزل الله بعد ذلك ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية»

فهذا ظاهر في أن هذه الآية مبينة لآية النساء، ورواية ابن جرير أقوى

من رواية أبي داود كما تقدم في بيان الإسناد فهي المعتمدة عن ابن

عباس، ولعل التعبير بالنسخ من أوهام بعض الرواة خصوصاً وأن في

إسناد أبي داود علي بن الحسين بن واقد وهو متهم بالوهم كما تقدم.

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٧٠.

(٢) انظر الحديث رقم ٢.

(٣) مفردات الراغب (مادة فتح)، تفسير الألوسي ١٨ / ٢٢٠.

﴿سورة الفرقان﴾

١ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان / ١٣ - ١٤].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ثُبُورًا﴾ ويلاً^(١). [٢٣٨]

وأخرجه ابن جرير الطبري موصولاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

وقال أبو جعفر بن جرير: والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل واندامتاه واحسرتاه

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ١٨٧.

على ما فرطت في جنب الله^(١).

وقال ابن منظور: الثور الهلاك والخسران والويل^(٢).

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٨٨.

(٢) لسان العرب مادة (ثبر).

٢ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان/

٢٣].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ ما تسفى [٢٣٩]

به الريح^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس^(٢).

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة في قوله ﴿هَبَاءً

منثورا﴾ قال: يقال الماء المهراق^(٣).

وقال ابن شميل: الهباء التراب الذي تطيره الريح فتراه على

وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ٤.

(٣) تفسير الطبري ١٩ / ٥.

(٤) لسان العرب (مادة هبا).

٣ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان / ٤٥].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ ما بين طلوع [٢٤٠]

الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿سَاكِنًا﴾ : دائماً ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ طلوع الشمس^(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

قوله ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعني أن المراد بالظل ما بين هذين الوقتين.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ١٨.

وقال الألوسي: وذلك أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وتسد النظر، وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهز البصر^(١).

قوله «عَلَيْهِ دَلِيلًا» طلوع الشمس «أي جعل الله سبحانه وتعالى طلوع الشمس دليلاً على ذلك الظل، ويحتمل أن تكون دلالة عليه علامة على تقلصه ثم انتهائه، ويحتمل أن تكون علامة على مزيته وأفضليته بالنسبة لسائر الأوقات.

(١) تفسير الألوسي ١٩ / ٢٦.

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان / ٦٢].

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿خِلْفَةً﴾ من فاته من [٢٤١] الليل عمل أدركه بالنهار أو فاته بالنهار أدركه بالليل^(١).
وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢).

بيان المعنى:

هذا المعنى الذي روي عن ابن عباس ليس تفسيراً لقوله تعالى ﴿خِلْفَةً﴾ وإنما هو بيان لفائدة تترتب على امتنان الله علينا بجعل الليل والنهار خلفه.

ومعنى الآية: وهو الذي جعل الليل يخلف النهار والنهار يخلف

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ٣٠.

الليل ليكون في ذلك علامات لمن أراد أن يعبد الله في الليل أو في النهار إذ لو كان الليل سرمدًا أو النهار سرمدًا لا نهاية له لما كان هناك أوقات للصلاة والصوم.

وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى عن عبد الرحمن بن زيد أنه قال: لو لم يجعلها خلفه لم يدر أحد كيف يعمل، لو كان الدهر ليلاً كله كيف يدري أحد كيف يصوم؟ أو كان الدهر نهارًا كله كيف يدري أحد كيف يصلي؟ قال: والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلها الله خلفه للعباد وقرأ ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾^(١).

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٣١.

٥ - ما جاء في قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^{٦٨} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^{٦٩} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَكَمًا^{٦٩} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ^{٧٠} وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠].

قال الإمام البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن [٢٤٢] يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^{٦٨}﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الزمر، حديث رقم ٤٨١٠.

وأخرجه الإمام مسلم والبيهقي والحاكم^(١).

بيان المعنى:

تبين لنا من هذه الآيات ومن قوله تعالى في سورة الزمر ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [آية / ٥٣] أن الله جل وعلا يقبل توبة عباده من جميع الذنوب إذا صدقوا في توبتهم.

وقد بين ابن عباس في هذه الرواية أن هذه الآيات نزلت في أهل الشرك إذا أكثروا من فعل الكبائر كالشرك بالله والقتل والزنا ثم تابوا ودخلوا في الإسلام.

وليس معنى هذا أن هذا الحكم خاص بالمشرkin لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتقبل توبة المسلم الصادقة ولو أكثر من الذنوب.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٥٤، حديث ١٢٢. السنن الكبرى ٩ / ٩٨، كتاب السير، باب الكافر الحربي يقتل مسلماً ثم يسلم. المستدرک ٢ / ٤٠٣، كتاب التفسير سورة الفرقان.

وقد تقدم في تفسير قوله تعالى من سورة النساء ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ذكر روايات عن ابن عباس في عدم قبول توبة القاتل عمدًا وذكر فيها أن الآيات التي ذكر فيها قبول توبة القاتل قد نزلت في المشركين وقد تقدم الكلام على ذلك.